المسائل المشكلة في إعراب القرآن للنحَّاس

إعداد الدكتور:

ربيـــع جمعـــة الغفـــير

المدرس بقسم اللغوياتِ بكليةِ الدراساتِ الإسلاميةِ والعربيةِ للبنين بالقاهرة

المسائل المشكلة في إعراب القرآن للنحَّاس

ربيع جمعة الغفير

قسم اللغوياتِ بكليةِ الدراساتِ الإسلاميةِ والعربيةِ للبنين بالقاهرة.

dr.rabeealghafeer@gmail.com

المُلَخَّصُ:

إن مُشكل النصّ القرآني قضيةٌ شغلت النّحويين والمفسرين طويلًا، وبخاصةٍ معربو القرآن الكريم ، وكان من أكثر من تصدى لهذه الظاهرة، وأطال النظر فيها والوقوف عندها: الإمام أبو جعفر النحاس المتوفى سنة (٣٣٧هـ) في كتابه: (إعراب القرآن الكريم)؛ حيث إنه وقف عند مشكل القرآن من حيث: المعنى ، ومن حيث الإعراب، وأفاض في الحديث عن أثر الإعراب في تبيين هذا المشكل، وهذا ما لفت نظري أثناء قراءته فتوقفت عند هذه الظاهرة ، وجاء عنوان البحث: المسائل المشكلة في إعراب القرآن للنحَّاس، وبحثت هذه المسائل عنده، ثم راجعت ذلك في كتب النحويين ومعربي القرآن قبله وبعده ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكوّن من مُقدِّمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، أمَّا المقدمة فذكرتُ فيها أهداف البحث، وأسباب اختيار الموضوع، ومنهجي فيه، وخطته، وأمَّا التمهيد ففيه تعريف مصطلحات عنوان البحث، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أبو جعفر النحَّاس، ويشمل: اسمه ونسبه. كنيته ولقبه. مولده ونشأته. رحلته في طلب العلم. شيوخه. ثناء العلماء عليه. تلاميذه. مؤلفاته. وفاته.

المطلب الثاني: كتاب إعراب القرآن.

المطلب الثالث: معنى الإشكال.

وأما المبحث الأول: فالمسائل التي يعود إشكالها إلى إيحاء ظاهرها بمخالفة قاعدة نحوية، وفيه سبع مسائل.

والمبحث الثاني: المسائل التي يعود إشكالها إلى إيحاء ظاهرها باستحالة المعنى، أو بعده، أو خفائه: وفيه عشرة مسائل ، وأمَّا الخاتمة فذكرتُ فيها أهم نتائج البحث، وذكرت المصادر والمراجع، وفهرسًا عامًّا لمحتويات البحث.

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين .

Which came under the title: The problematic issues in the grammar of the Qur'an by Al-Nahhas.

Rabie Jumaa Al-Ghafir Department of Linguistics at the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Cairo.
dr.rabeealghafeer@gmail.com

Abstract :

The problem of the Qur'anic text is an issue that has long occupied grammarians and commentators, especially the grammarians of the Holy Qur'an. One of the people who addressed this phenomenon the most, and who looked at it at length and stopped at it was Imam Abu Ja`far Al-Nahhas, who died in the year (337 AH) in his book: The Grammar of the Holy Qur'an; As he stopped at the problem of the Qur'an in terms of meaning, and in terms of syntax, and elaborated on the effect of syntax in clarifying this problem, and this is what caught my attention while reading it, so I stopped at this phenomenon, and the title of the research came The Problematic Issues in the Syntax of the Qur'an by Al-Nahhas, and I researched these issues with him, then I reviewed that in the books of grammarians and Qur'anic syntacticians before and after him, and the nature of the research required that it consist of an introduction and a preface, two chapters, and a conclusion. As for the introduction, I mentioned the objectives of the research, the reasons for choosing the topic, previous studies, my methodology in it, and its plan, and as for the preface, it defines the terms of the research title, and includes three demands:

The first demand: Abu Jaafar Al-Nahhas.

The second demand: The Book of Syntax of the Qur'an.

The third demand: The meaning of the problem.

As for the first section: The issues whose problem is due to their apparent meaning implying a violation of a grammatical rule: It contains seven issues, **and the second section: The issues whose problem is due to their apparent meaning impossibility, or remoteness, or obscurity, and it contains**

ten issues, and as for the conclusion, I mentioned the most important results of the research, and I mentioned the sources and references, and a general index Contents of the research.

And may God's prayers be upon our master Muhammad and upon his family and companions all together.

المـــقـــدمـــــة

الحمد لله حمدًا كثيرًا لا يحصى عدده، ولا يدرك منتهاه، وأشهد أن الله إله فردٌ صمدٌ، تنزَهَ عن مشابهةِ خلقِهِ، واستوى على عرشه، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن المتتبع لجهود علماء الأمة الإسلامية منذ عهد الصحابة– رضي الله عنهم– إلى يومنا هذا يجد من صبرهم على البحث والتتبع لفرائد العلم وفوائده، والغوص في بحور العلم والمعرفة، ما يبهج القلوب ويسر الخاطر، ومن هذه الجهود جهودُ العلماء لخدمة القرآن الكريم، وبيان ما جاء ظاهره مُشْكِلًا، فأنت ترى العجب العجاب من أولئك الجهابذة الذين جندوا أفكارهم، وحاولوا الغوص وراء المعنى حتى أظهروا الغامضَ، ووضَّحُوا المشْكِلَ ، وأزالوا الخفاءَ بما منحهم اللهُ مِنْ قرائحَ وقّادةٍ.

ولا يخفى على أحدٍ أهميةَ علمِ الإعرابِ في توضيحِ المعنى الذي تنشدُهُ الآياتُ القرآنيةُ، وبيانِ مَا تقصدُهُ من دَلَالَاتٍ وأسرارٍ لا يستطيعُ أنْ يقفَ عليها إلا الراسخون في العلم، وها هو الإمام مكي بن أبي طالب المتوفى سنة(٤٣٧هـ)، يقول في مقدمة مُشْكِلِهِ(١): **"فَإِنِّي رَأَيْت أفضلَ علمٍ صُرِفَتْ إِلَيْهِ الهممُ، وتعبت فِيهِ الخواطرُ، وسارع إِلَيْهِ ذَوُو الْعُقُول علم كتاب الله ـ تَعَالَى ذكره ـ ؛ إِذْ هُوَ الصِّرَاط الْمُسْتَقيم، وَالدّين الْمُبين، وَالْحَبل المتين، وَالْحق الْمُنِير، وَرَأَيْت من أعظم مَا يجب على الطَّالِب لعلوم الْقُرْآن، الرَّاغِب فِي تجويد أَلْفَاظه، وَفهم مَعَانِيه، وَمَعْرِفَة قراءاته، ولغاته، وَأفضل مَا القارئ إِلَيْهِ مُحْتَاج معرفَة إعرابه، وَالْوُقُوف على تصرف حركاته، وسواكنه يكون بذلك سالمًا من اللّحن فِيهِ، مستعينا على أَحْكَام اللَّفْظ بِهِ، مطلعًا على الْمعَانِي الَّتِي قد تخْتَلف باخْتلَاف الحركات، متفهما لما أَرَادَ**

(١) مشكل إعراب القرآن ٦٣/١.

الله بِهِ من عباده؛ إِذْ بِمَعْرِفَة حقائق الْإِعْرَاب تعرف أَكثر الْمعَانِي، وينجلي الْإِشْكَال، فتظهر الْفَوَائِد، وَيفهم الْخطاب، وَتَصِح معرفَة حَقِيقَة المُرَاد ، وَقد رَأَيْت أَكثر من ألف الْإِعْرَاب طوله بِذكرِهِ لحروف الْخَفْض، وحروف الْجَزْم، وَبِمَا هُوَ ظَاهر من ذكر الْفَاعِل، وَالْمَفْعُول... وأغفل كثيرًا مَّما يحْتَاجُ إِلَى مَعْرفَته من المشكلات، فقصدتُ فِي هَذَا الْكتاب إِلَى تَفْسِير مُشكِل الإِعْرَاب، وَذكر علله، وصعبه، ونادره؛ ليَكُون خَفِيف الْمحمل، سهل المأخذ، قريب المتناول لمن أَرَادَ حفظه، والاكتفاء بِهِ فَلَيْسَ فِي كتاب الله . عز وَجل . إِعْرَاب مُشكِل إِلَّا وَهُوَ مَنْصُوص، أَو قِيَاسه مَوْجُود فِيمَا ذكرته، فَمن فهمه كَانَ لما هُوَ أسهل مِنْهُ مِمَّا تركت ذكره اختصارًا أفهم، وَلما لم نذكرهُ مِمَّا ذكرنَا نَظِيره أبْصر وَأعلم".

ومن خلال هذا يتبين لي أن من الجمل والعبارات ما جاء على وفق القواعد، والضوابط، والمعايير التي وضعها النحويون، ومنها ما جاء ظاهره مخالفًا لهذه المعايير والقواعد، ومن هنا وجدنا علماء العربية والتفسير يُعملون في تلك النصوص مزيدًا من النظر، ويبذلون كثيرًا من الجهد والتفكير؛ ليردوا تلك النصوص إلى نظيرها، ويعيدوها إلى ما تقتضيه الصناعة، ولا يخالف المعنى، فكانت تلك النصوص تسمى (مشكِل المعنى)، وهو اللفظ الذي استغلق وخفي معناه على السامع، ولم يتبين إلا بعد طلبٍ وتأملٍ، فقد يظهر معناه من قرينةٍ في النص، أو من دليلٍ آخر منفصلٍ عن النص، أو بتأمل ونظر.

ومن أبرز العلماء الذين اهتموا بهذه الناحية أبو جعفر النحاس المتوفى سنة (٣٣٧هـ) في كتابه: إعراب القرآن، فقد تعرض لنصوص كثيرة ظاهرها فيه غموض، وخفاء، واشتباه فكشف غموضها، وأزال خفاءها بأسلوب سهل واضح، وهذه الدراسة تكشف لك جانبًا من ذلك.

أهداف البحث:

١. جمع المسائل الإعرابية التي نصَّ النحَّاس على أنها مشكلة.

٢. تحرير موضع الإشكال فيها .

٣. تتبُّع مسالك دفع الإشكال عنها عند النحاس، وعند غيره من السابقين والخالفين، من النحاة والمفسرين.

٤. الخلوص إلى تحديد مفهوم (الإشكال في إعراب القرآن الكريم)عند النحَّاس، واستنباط أسبابه، وتحرير مسالك تأويله.

أسباب اختيار الموضوع:

١. ارتباطه بالتدبر العميق للقرآن الكريم.

٢. عدم وقوع الباحث على دراسة لهذا النوع.

٣. الوقوف على الجهود المضنية التي قام بها علماء النحو، وبخاصة الإمامُ النحّاس.

المنهجُ المُتتَّبَعُ:

اخترت في هذا البحث المنهجَ الوصفيَّ القائم على التحليل والتوضيح للقضايا؛ ولذلك اتَّبعتُ التالي:

١ – وضعتُ عنوانًا مُناسبًا لكل مسألة تطبيقية.

٢ – ذكرتُ تمهيدًا يوضِّح كل مسألة.

٣ – ذكرتُ في المسألة ما وقفت عليه من نصوص النحاة التي تدور حولها.

٤ – أذكر رأيي بعد ذلك تعليقًا على النصوص.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكوّن من مُقدِّمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

أمَّا المقدمة فذكرتُ فيها أهداف البحث، وأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهجي فيه، وخطته.

وأمَّا التمهيد ففيه تعريف مصطلحات عنوان البحث، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أبو جعفر النحَّاس.

المطلب الثاني: كتاب إعراب القرآن.

المطلب الثالث: معنى الإشكال.

المبحث الأول: المسائل التي يعود إشكالها إلى إيحاء ظاهرها بمخالفة قاعدة نحوية:

وفيه سبع مسائل، هي:

المسألة الأولى: عدم المطابقة بين المبتدأ: (الإنسان) وخبره :(بصيرة) في التذكير والتأنيث ، في ظاهر قوله . تعالى . :**{بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}.**

المسألة الثانية : رفع الاسم المعرب المنصوب:(أيّ) في ظاهر قوله . تعالى . :**{ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا}.**

المسألة الثالثة: عود ضمير الجمع (هنّ) من (فيهن) على المثنى : (جنتين) في قوله . تعالى . :**{ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}.**

المسألة الرابعة : تعدية الفعل (يُلبس) إلى ما لا يقبل معناه :ضمير العقلاء(كم) في ظاهر قوله . تعالى . :**{أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا}.**

المسألة الخامسة: الإخبار عن المبتدأ (مَنْ) بجملة ليست هي نفسه في المعنى وغير مربوطة به:(إنَّ ذلك من عزم الأمور)، في ظاهر قوله . تعالى . :**{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}.**

المسألة السادسة: العطف على ضمير الرفع المتصل: واو الجماعة في (يدخلون) دون توكيده بضمير منفصل، في ظاهر قوله . تعالى . :**{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ}.**

المسألة السابعة : تعدية الفعل اللازم: (آمن)باللام في(لمن تبع)وبنفسه في المصدر المؤول: (أن يؤتى) في ظاهر قوله . تعالى . : **{وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ}.**

المبحث الثاني: المسائل التي يعود إشكالها إلى إيحاء ظاهرها باستحالة المعنى، أو بعد، أو خفاء:

وفيه عشرة مسائل ، هي:

المسألة الأولى: نعت القوم (عاد) باسم موضع سكناهم : (إرم) ، أو إبداله منهم ، في ظاهر قوله . تعالى . : **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ}.**

المسألة الثانية: إشراك ما هو من عند العبد (القول المعروف) مع ما هو من عند المعبود، سبحانه: (المغفرة) في (الخيرية) في ظاهر قوله . تعالى . :**{قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى}.**

المسألة الثالثة : عطف مستحق العذاب على مستحق الثواب، في ظاهر قوله . تعالى . :**{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ}.**

المسألة الرابعة : خفاء المراد بـ (الجزاء) في ظاهر قوله . تعالى . : {قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ...}.

المسألة الخامسة: نفي الفعل في : (ما نظنَّ) ثم إثباته بذكر مصدره المؤكد له في : (إلا ظنًّا) في ظاهر قوله . تعالى . :{قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا}.

المسألة السادسة: اختلاف زمن الحال(مختلفًا) عن زمن الحدث :(أنشأ)، في ظاهر قوله . تعالى . :**{ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ...}.**

المسألة السابعة: إسناد الفعل :(منع) إلى ما لا يُتصور حدوثه منه:(أن كذب بها الأولون) في ظاهر قوله . تعالى . :**{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ}.**

المسألة الثامنة: إشراك العبيد (الراسخون في العلم)مع المعبود . سبحانه . في علمه، في ظاهر قوله . تعالى . : {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}.

المسألة التاسعة: استحالة الجمع بين الأموات : (الذين يموتون) مع الأحياء :(الذين يعملون السيئات) في حكم (نفي التوبة) في ظاهر قوله . تعالى . :{ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّار}.

المسألة العاشرة: إيجاب الحكم (التيمم) مع عدم موجبه في (مرضى) و(على سفر) في ظاهر قوله . تعالى . :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا}.

وأمَّا الخاتمة فذكرتُ فيها أهم نتائج البحث.

وبعدُ: فإن الكمال لله وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله فإذا كان من صواب في هذا البحث؛ فلله الحمد والفضلُ، وإن كان من خطأ أو زلل؛ فحسبي أنني بشر، وأسأل الله . عَزَّ وَجَلَّ . السداد.

* * *

التمهيد:

تعريف مصطلحات عنوان البحث،

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أبو جعفر النحَّاس.

المطلب الثاني: كتاب إعراب القرآن.

المطلب الثالث: معنى الإشكال.

المطلب الأول:

أبو جعفر النحاس، ويشمل :

اسمه ونسبه.

كنيته ولقبه.

مولده ونشأته.

رحلته في طلب العلم.

شيوخه.

ثناء العلماء عليه.

تلاميذه.

مؤلفاته.

وفاته.

المطلب الأول: أبو جعفر النحَّاس

اسمه ونسبه:

هو العلامة: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس أبو جعفر، المراديّ، المصريّ، النّحويّ، المعروف بالنّحّاس، اللّغويّ، المفسّر، الأديب(١).

كنيته ولقبه:

كني بأبي جعفر، ولقب بالنحاس(٢)، والصفار(٣)، ولكن النحاس هو الأشهر الذي عرف به، وهو الذي طار في الآفاق حتى صار علمًا له.

و (النحاس) نسبة إلى من يصنع الأواني النُحاسية ، ويظهر أن أجداده كانوا يشتغلون بهذه الصنعة، وأما أبو جعفر فقد طلب العلم منذ حداثة سنه، ولم ينقل عنه أنه اشتغل بهذه الحرفة صنعة، أو بيعًا، وسمي بالصفار أيضا نسبة إلى (الصَّفْر) وهو النحاس أيضًا(٤).

مولده ونشأته:

ولد الإمام أبو جعفر النحاس في مصر وعاش فيها فترة من الزمن، ولا يعرف على وجه الضبط سنة ميلاده، فالمراجع التي بين أيدينا كلها لم تذكر سنة مولده، ولا أطوار نشأته الأولى، ولكنها متفقة على أنه ولد في مصر، وتوفي فيها ، ونشأ في مصر ثم ارتحل إلى بغداد ، ثم عاد إلى مصر وتصدّر للتدريس، وكانت مصر خلال النصف الثاني من القرن الثالث، والنصف الأول من الرابع

---

(١)ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٥١/١١ ، وحسن المحاضرة للسيوطي ٥٣١/١، والأعلام للزركلي ٢٠٨/١ .

(٢)ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٢٣٧/٧، والأعلام للزركلي ٢٠٨/١ .

(٣)ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٢٣٧/٧.

(٤)ينظر: تاج العروس للزبيدي (ص ف ر) ٣٣٢/١٢،ومقدمة محقق كتاب معاني القرآن للنحاس ٣/١.

للهجرة حلقة الوصل بين المغرب والمشرق، وقد قصده طلّاب المعرفة، كما قصدوا غيره، من المغرب وأخذوا عنهم صنوف علوم اللغة والقرآن، وعادوا بها إلى بلادهم، وبذلك انتقلت مصنّفات هؤلاء العلماء المصريين إلى هناك، نشأ ابن النحاس محبّا للعلم وكان لا يتوانى أن يسأل أهل العلم والفقه ويفاتشهم بما يشكل عليه في تصانيفه(١).

رحلته في طلب العلم:

رحل إلى بغداد، وأخذ عن أصحاب المبرد، وعن الأخفش عليّ بن سليمان، ونفطويه، والزجاج، وغيرهم، ثمّ عاد إلى مصر، وسمع بها جماعة، منهم: أحمد بن محمّد بن سلامة الطّحاويّ، والنسائي، وبكر بن سهل الدمياطي، ومحمد بن جعفر الأنباري، وسمع بالرملة من عبيد الله بن إبراهيم البغدادي، وسمع ببغداد من عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان، وأبي القاسم عبد الله البغوي، والحسين بن عمر ابن أبي الأحوص، وجماعة، وقرأ كتاب سيبويه على الزجاج ببغداد(٢).

شيوخه:

نذكر هنا بإيجاز الشيوخ الذين تلقى عنهم الإمام النحاس علومه فمن شيوخه الذين تلمذ عليهم (٣):

(١)ينظر: إنباه الرواة للقفطي ١٣٦/١،ومقدمة محقق كتاب إعراب القرآن للنحاس ٨/١.

(٢)ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٥١/١١ ، وحسن المحاضرة للسيوطي ٥٣١/١.

(٣)ينظر: إنباه الرواة للقفطي ١٣٦/١، ومقدمة محقق كتاب إعراب القرآن للنحاس ٨/١.

الإمام الزجاج(١)، وأبو بكر بن الأنباري(٢)، وابن كيسان(٣)، ونفطويه(٤)، والأخفش الصغير(٥).

تلامذة النحاس:

أما تلامذة النحاس فلا يكادون يحصون عددًا نذكر منهم خشية الإطالة:

١ – منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي، المتوفى سنة(٣٣٥ هـ)(٦).

٢ – محمد بن مفرج بن عبد الله المعافري، المتوفى سنة(٣٧١ هـ)(٧).

---

(١) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الإمام اللغوي، الشهير صاحب كتاب (معاني القرآن)، المتوفى سنة(٣١١ هـ)، أحد تلامذة الإمام المبرد، أخذ عنه النحاس، وقرأ عليه كتاب سيبويه كما ذكر النحاس ذلك صراحة في كتابه (إعراب القرآن١/٢٨؛ حيث قال: "هكذا قرأت على أبي إسحاق الزجاج في كتاب سيبويه أن يكون (دفاع) مصدر: دفع كما تقول: حسبت الشيء حسابًا، ولقيته لقاءً، فيكون دفاع ودفع مصدرين".

(٢)المتوفى سنة (٣٢٨ هـ)، صاحب كتاب :المشكل في معاني القرآن، وهو من أصحاب ثعلب، ذكره الزبيدي في طبقات النحويين صـ ١٥٣.

(٣) هو : أبو الحسن محمد بن أحمد الكيساني، المتوفى سنة(٢٩٩ هـ)أخذ عن ثعلب، والمبرد ، وكان نحويًّا بارعًا يحفظ أقوال الكوفيين والبصريين، قال النحاس عنه في كتابه إعراب القرآن ١ / ٢٨ : " قال ابن كيسان، وهو النحويّ، فكلما قلنا: قال ابن كيسان فإيّاه نعني: يجوز غشوة وغشوة فإن جمعت غشاوة تحذف الهاء قلت: غشاء" .

(٤) هو : إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي، المتوفى سنة(٣٢٣ هـ)،قال عنه الزبيدي في الطبقات صـ ١٥٤: "كان أديبًا متفننًا في الأدب يحفظ لجرير ، والفرزدق، وشعر ذي الرمة، وغيرهم من الشعراء، وكان يروي الحديث، وهو من النحويين الكوفيين، ومن أصحاب ثعلب.

(٥)هو: أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل، المتوفى سنة(٣١٥ هـ) الذي تلقى عن ثعلب، والمبرد ،وانظر: ترجمته في طبقات الزبيدي صـ ١١٥.

(٦)ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي ١٣٣/٢٦،ومقدمة محقق كتاب إعراب القرآن للنحاس ٨/١.

(٧)ينظر: تاريخ العلماء للأزدي ٨٤/٢ ،ومقدمة محقق كتاب إعراب القرآن للنحاس ٨/١.

٣ – عمر بن محمد بن عراك الحضرمي المصري، المتوفى سنة (٣٨٨هـ)(١).

٤ – محمد بن يحيى الأزدي القرطبي النحوي، المتوفى سنة(٣٥٨ هـ) (٢).

٥– محمد بن علي الأُدَفُوي المصري، المتوفى سنة(٣٨٨ هـ) (٣).

مؤلفاته:

ترك الإمام أبو جعفر النحاس ثروة كبرى من المؤلفات القيمة، وكتبًا متنوعة في شتى الفنون والعلوم، تشهد بعلو كعبه، وبراعته، ونبوغه كالتفسير، والقراءات، والحديث، والفقه، وقد لاقت كتبه قبول العلماء، والحرص الشديد على تحصيلها؛ وذلك لحسن قصده، وصدق نيته، ودونك بعض هذه المؤلفات القيمة التي طبعت، منها:

أولًا: تفسير القرآن الكريم ، وهو مطبوع، بتحقيق الشيخ / محمد علي الصابوني، مركز إحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة، سنة :١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

ثانيًا: كتاب إعراب القرآن، وهو مطبوع بتحقيق الدكتور/زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨.

ثالثًا: عمدة الكتاب وهو مطبوع، بتحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي ، الناشر: دار ابن حزم – الجفان والجابي للطباعة والنشر ، الطبعة: الأولى ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

رابعًا: الناسخ والمنسوخ، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، الناشر: مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ .

---

(١)ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي ١٦٩/٢٧،ومقدمة محقق كتاب إعراب القرآن للنحاس ٨/١.

(٢)ينظر: عنوان الدّراية للغِبْرِيني صـ٣٨٨.

(٣)ينظر: وفيات قوم من المصريين للْحَبَّال صـ ٣٧، و إنباه الرواة للقفطي ١٨٨/٣.

ثناء العلماء عليه:

أثنى على الإمام النحاس علماء فطاحل عرفوا قدره وفضله، وأشادوا بمآثره ومناقبه.

قال عنه كمال الدين الأنباري(١):" وأما أبو جعفر أحمد بن محمد [بن إسماعيل] الصفار المعروف بالنحاس، فإنه كان نحويًا فاضلًا، أخذ عن أبي العباس المبرد، وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش".

وقال عنه الحافظ ابن كثير(٢): "أبو جعفر النحاس النحوي، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس أبو جعفر المرادي المصري النحوي ، المعروف بالنحاس، اللغوي المفسر الأديب، له مصنفات كثيرة في التفسير وغيره، وقد سمع الحديث، ولقي أصحاب المبرد".

وفاته:

وبعد حياةٍ مملوءةٍ بالكفاح، والتأليف، والتعليم تُوفِّي العلامةُ أبو جعفر النحاس، وكانت وفاته يوم السبت لخمس خلون من ذي الحجة سنة ثلاثمائة وثمان وثلاثين (٣٣٨هـ) [٣]. فرحمه الله رحمة واسعة ..

والله أعلى وأعلم

* * *

(١)ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري صـ ٢١٧.

(٢) ينظر : البداية والنهاية لابن كثير ٢٥١/١١.

(٣)ينظر: العبر في خبر من غبر للذهبي ٥٤/٢، والبداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٢٥١، والأعلام للزركلي ٢٠٨/١ .

المطلب الثاني: كتاب إعراب القرآن.

قدّم العلامة أبو جعفر النحاس ç لكتابه بمقدمة بيَّن فيها هدفه من تأليفه، ومنهجه في كتابه، فبين أنه وضعه في إعراب القرآن الكريم، والقراءات القرآنية التي تحتاج إلى بيان، والوقوف على أقوال النحويين في القضايا التي يذكرها، وشرح ما يحتاج إلى شرح، والوقوف مع اللغات ونسبتها إلى أصحابها، والإيجاز مع هذا كله؛ حيث قال(١):"بسم الله الرّحمن الرّحيم، الحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد وآله، قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، النحوي، المعروف بالنحاس: هذا كتاب أذكر فيه . إن شاء الله . إعراب القرآن، والقراءات التي تحتاج أن يبيّن إعرابها، والعلل فيها، ولا أخليه من اختلاف النحويين وما يحتاج إليه من المعاني، وما أجازه بعضهم، ومنعه بعضهم، وزيادات في المعاني وشرح لها، ومن الجموع، واللغات، وسوق كلّ لغة إلى أصحابها ولعلّه يمرّ الشيء غير مشبع فيتوهّم متصفّحه أنّ ذلك لإغفال، وإنما هو لأنّ له موضعا غير ذلك، ومذهبنا الإيجاز والمجيء بالنكتة في موضعها من غير إطالة، وقصدنا في هذا الكتاب الإعراب، وما شاكله بعون الله وحسن توفيقه".

ثناء العلماء على أعراب القرآن:

لقد أثنى العلماء على هذا الكتاب وصفوه بأوصاف تنم عن قيمة هذا الكتاب الجليل، قال عنه جمال الدين القفطي (٢): "أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، أبو جعفر النحّاس، النحوي، المصري، كان من أهل العلم بالفقه والقرآن، رحل إلى العراق، وسمع من الزجّاج... وله مصنّفات في القرآن؛ منها كتاب الإعراب، وكتاب المعاني، وهما كتابان جليلان أغنيا عما صنّف قبلهما في معناهما ".

والله أعلى وأعلم

* * *

---

(١) إعراب القرآن ١/٨.

(٢)ينظر: **إنباه الرواة على أنباه النحاة للأنباري ١/١٣٦.**

المطلب الثالث: معنى الإشكال.

أولًا: مفهوم المشكل، في اللغة.

المُشْكِل: اسم فاعل، مِنْ أَشْكَلَ يُشْكِلُ إشْكالًا؛ فهو مُشْكِلٌ.

واسم الفاعل من غير الثُّلاثي يأتي على زِنَةِ مُضارِعه، بإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومةً، وكسر ما قبل الآخر(١).

والمعنى اللغوي للمُشْكِل يدور حول: الاختلاط، والالتباس، والاشتباه، والمماثلة(٢).

تقول: أشكل عليَّ الأمر، أي: اختلط بغيره(٣).

ويُقال: حرف مُشْكِلٌ، أي: مُشْتَبِهٌ مُلتبسٌ، وأمور أشكال، أي: ملتبسة، وبينهم أشكلة، أي: لبس .

قال ابن فارس :" «الشين، والكاف، واللام، مُعظمُ بابِهِ المُماثَلة، تقول: هذا شَكْل هذا، أي: مِثْلُه، ومن ذلك يُقال: أمرٌ مُشْكِل، كما يُقال: أمرٌ مُشْتبِه»(٤).

ثانيا: تعريف المُشْكِل في الاصطلاح:

تباينت آراء العلماء في تعريف المُشْكِل، فتعريفه عند الأصوليين يختلف عن تعريفه عند المُحَدِّثين، والمفسرين،

وأصل (التّشابه) : أن يشبه اللفظُ اللفظَ في الظاهر، والمعنيان مختلفان، قال الله ـ جل وعز ـ في وصف ثمر الجنة: {وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِها}[البقرة: ٢٥] ، أي: متّفق المناظر، مختلف الطّعوم، وقال الله ـ تعالى ـ: {تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ } [البقرة: ١١٨] ،أي: يشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة، ومنه يقال: اشتبه عليّ الأمر، إذا أشبه غيره فلم تكد تفرّق بينهما، وشبّهت عليّ: إذا لبّست الحقّ

---

(١) ينظر: **شذا العرف للحملاوي، صـ٩٧.**

(٢) ينظر: **مشكل القرآن للمنصور صـ٤٦.**

(٣) ينظر: **الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ٢/ ١٥١، وتهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٢٥.**

(٤) ينظر: **معجم مقاييس اللغة لا بن فارس [ش ك ل] ٣/٢٠٤.**

بالباطل، ومنه قيل لأصحاب المخاريق أصحاب الشّبه، لأنهم يشبّهون الباطل بالحق، ثم قد يقال لكلّ ما غمض ودقّ: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشّبه بغيره، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطّعة في أوائل السّور: متشابه، وليس الشك فيها، والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها، والتباسها بها، ومثل المتشابه (المشكل) وسمي مشكلا؛ لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله، ثم قد يقال لما غمض- وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة-: مشكل(١).

وهاك بعضَ أقوال العلماء:

عرَّفه الشريف الجُرْجَاني فقال: «المُشْكِل: هو ما لا يُنال المراد منه إلا بتأملٍ بعد الطلب، وهو الداخل في أشكاله، أي: في أمثاله وأشباهه، مأخوذ من قولهم: أشكل، أي: صار ذا شَكْلٍ، كما يُقال: أحرم، إذا دخل في الحرم، وصار ذا حُرْمَةٍ»(٢).

قال الزركشي:" وأما المتشابه فأصله أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني كما قال ـ تعالى ـ في وصف ثمر الجنة :{وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} ،أي: متفق المناظر مختلف الطعوم، ويقال للغامض: متشابه ؛ لأن جهة الشبه فيه كما تقول لحروف التهجي والمتشابه مثل المشكل؛ لأنه أَشْكَلَ، أَيْ: دَخَلَ فِي شَكْلِ غيره، وشاكله"(٣).

ويمكن اختصار هذا التعريف فيكون باللفظ الآتي:

هو: كلُّ نصٍ شرعي؛ استغلق وخفي معناه، أو أوهم مُعارضة نصٍ شرعي آخر، أو أوهم معاني مستحيلة؛ شرعًا أو عقلاً.

والله أعلى وأعلم

* * *

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٦٨/١، ومعجم مقاييس اللغة لا بن فارس [ش ك ل] ٢٠٤/٣.

(٢) ينظر: التعريفات للجرجاني، صـ٢٧٦.

(٣)البرهان في علوم القرآن للزركشي٦٩/٢.

المبحث الأول:

المسائل التي يعود إشكالها إلى إيحاء ظاهرها بمخالفة قاعدة نحوية:

وفيه سبع مسائل، هي:

المسألة الأولى: عدم المطابقة بين المبتدأ: (الإنسان) وخبره :(بصيرة) في التذكير والتأنيث ، في ظاهر قوله ـ تعالى ـ :{بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}[سورة القيامة : آية ١٤]

تعدد الخبر على ضربين:

الأول: تعدد في اللفظ والمعنى, نحو: {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [البروج: ١٤، ١٦]، وقوله [من الرجز] (١):

مَنْ يَكُ ذَا بَت فَهَذَا بَتِّي مُقَيّظٌ مُصَيّفٌ مُشتِّي

وهذا الضرب يجوز فيه العطف وتركه.

والثاني: تعدد في اللفظ دون المعنى، وضابطه أن لا يصدق الإخبار ببعضه عن المبتدأ، نحو: "هذا حلو حامض"، أي: مز، و"هذا أعسر أيسر"، أي: أضبط، وهذا الضرب لا يجوز فيه العطف، خلافا لأبي علي(٢).

---

(١)الرجز لرؤبة في ملحق ديوانه ص١٨٩.

اللغة: البت: الكساء، أو طيلسان من خز. المقيظ: الذي يكفي للقيظ، أي: الحر. المصيف: الذي يكفي للصيف. المشتي: الذي يكفي للشتاء.

المعنى: يقول: "إذا كان لامرئ كساءٌ، فإن لي كساءً يكفيني لجميع الفصول.

الشاهد: قوله: "فهذا بتي مقيظ، مصيف، مشتي" حيث وردت أخبار متعددة لمبتدأ واحد من غير عطف.

والبيت في : الكتاب ٢/ ٨٤، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٣، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٧٢٥، وشرح المفصل لابن يعيش ١/ ٩٩، ولسان العرب[ب ت ت] ٢/ ٨، وهمع الهوامع ١/ ١٠٨، ٢/ ٦٧.

(٢) ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك١/٢١٣.

نص النحّاس على الإشكال:

قال أبو جعفر النحاس(١):" {بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} مشكل الإعراب والمعنى، فقول ابن عباس سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه شاهدة عليه، قال أبو جعفر: فعلى هذا القول الْإِنْسانُ مرفوع بالابتداء، وبَصِيرَةٌ ابتداء ثان و «على نفسه» خبر الثاني والجملة خبر الأول، وشرحه بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء تحفظه، وتشهد عليه، فهذا قول، وقول سعيد بن جبير، وقتادة: إن الإنسان هو البصيرة، قال سعيد بن جبير: الإنسان واللهِ بصيرة على نفسه، وقال قتادة: تراه والله عارفا بذنب غيره وعيبه متغافلا عن نفسه، فعلى هذا القول «الإنسان» مرفوع بالابتداء، و «بصيرة» خبره فإن قيل: لم دخلت الهاء والإنسان مذكّر؟ ففيه جوابان أحدهما أن الهاء للمبالغة(٢) كما يقال: رجل راوية وعلّامة وقيل: دخلت الهاء لأن المعنى بل الإنسان حجّة على نفسه".

يرى الإمام أبو جعفر النحاس أن كلمة الإنسان رفعت ؛لأنها مبتدأ أول، وبصيرة مبتدأ ثانٍ، وعلى نفسه في محل رفع خبر للمبتدأ الثاني، والجملة كلها في محل رفع خبر المبتدأ الأول هذا الإعراب على معنى: بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء تحفظه، وتشهد عليه.

كما يجوز أن تكون كلمة (الإنسان) مرفوعة بالابتداء، و (بصيرة) خبره ، وذلك على معنى: إن الإنسان هو البصيرة ، وإشكالها تأنيث الخبر والمبتدأ مذكر، وقد دفع العلماء الإشكال في ظاهر هذه الآية، وهو أن السبب فيه يرجعُ إلى أن الهاء للمبالغة، كما يقال: رجل فهامة وعلّامة، وقيل: دخلت الهاء؛ لأن

---

(١) إعراب القرآن ٥/٥٤.

(٢) من الذين ذكروا أن الهاء في (بصيرة) للمبالغة الخليلُ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وابن الشجري، ينظر: الجمل في النحو صـ ٢٨٥، ومجاز القرآن ٢/٢٧٧، وأمالي ابن الشجري ٣/٣١.

المعنى بل الإنسان حجّة على نفسه، ومن خلال هذا التأويل تتم المطابقة بين المبتدأ والخبر تذكيرًا وتأنيثًا .

والذي قاله أبو جعفر تبعه فيه مكي بن أبي طالب(١)؛ حيث قال:" قَوْله:{ بل الإنسان على نَفسه بَصِيرَة الإنسان} ابْتِدَاء، وبصيرة: ابْتِدَاء ثَان، وعَلى نَفسه: خبر بَصِيرَة، وَالْجُمْلَة خبر عَن الإنسان، وَتَحْقِيق تَقْدِيره: بل على الإنسان رقباء من نَفسه على نَفسه يشْهدُونَ عَلَيْهِ، وَيجوز أَن تكون (بَصِيرَة) خَبرًا عَن الانسان، وَالْهَاء فِي بَصِيرَة للْمُبَالَغَة، وَقيل لما كَانَ مَعْنَاهُ حجَّة على نَفسه دخلت؛ لتأنيث الْحجَّة".

وذكر فيها أبو جعفر الطبري(٢)، والشيخ زكريا الأنصاري(٣) وجهًا واحدًا، وهو أن (بصيرة) خبر عن الإنسان، والتاء للمبالغة.

وزاد أبو بكر العزيري(٤)،والعكبري(٥) وجهًا ثالثًا في إعراب بصيرة وهو على حذف مضاف والتقدير: بل الإنسان ذو بصيرة، أو عين بصيرة.

وذكر الثعلبي(٦)، والبغوي(٧)، أن (بصيرة) مجرورة بحرف جر محذوف، والمعنى: بل الإنسان على نفسه ببصيرة، ثم حذفت حرف الجر، كقوله: {وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ}[الْبَقَرَةِ:٢٣٣]، أي: لأولادكم.

وذكر ابن عادل(٨) أنه يجوز في «بَصِيرة» ثلاثة أوجه:

---

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/٧٧٨.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٢٤/٦٣.

(٣) ينظر: إعراب القرآن العظيم صـ ٥٤٠.

(٤) ينظر: غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب صـ١٢٣.

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/١٢٥٤.

(٦) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٠/٨٦ .

(٧) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن٨/٢٨٣ .

(٨) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٩/٥٥٥.

أحدها: أنها خبر عن الإنسان، و «على نفسه» متعلق ب «بصيرة» ، والمعنى: بل الإنسان بصيرة على نفسه، والهاء فيه للمبالغة، وقيل: هو كقولك: (فلان عِبْرة وحُجَّة)، وقيل: المراد بالإنسان الجوارح، فكأنه قال: بل جوارحه بصيرة، أي شاهدة. والثاني: أنَّها مبتدأ، و «على نفسه» خبرها، والجملة خبر عن الإنسان.

وعلى هذا ففيها ثلاثة تأويلات:

أحدهما: أن تكون «بصيرة» صفة لمحذوف، أي عين بصيرة.

الثاني: أن المعنى جوارحُ بصيرة.

الثالث: أنَّ المعنى ملائكة بصيرة، وهم الكاتبون، والتاء على هذا للتَّأنيث.

الوجه الثالث: يكون الخبر الجار والمجرور و» بصيرة «فاعل به، وهو أرجح مما قبله؛ لأن الأصل في الأخبار الإفراد، وأرى أن الأوجه كلها محتملة ، وأرجحها أن تعرب (بصيرة) خبر عن الإنسان والهاء للمبالغة؛ لأنه الأقرب إلى الفهم، وليس فيه تقدير شيء محذوف.

والله أعلى وأعلم

* * *

المسألة الثانية : رفع الاسم المعرب المنصوب:(أيّ) في ظاهر قوله . تعالى . :{ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا}[سورة مريم: آية ٦٩].

"أي" تكون موصولة وتحتاج إلى كلام بعدها، تتم به اسما كاحتياج (الذي)، و(من)، و(ما)، إذا كانا بمعنى "الذي"، ويعمل فيها ما قبلها من العوامل كما تعمل في "الذي"، فتقول: لأضربن أيهم في الدار"، والمعنى "الذي في الدار" منهم، فـ "أي" بمنزلة "الذي"، إلا أنها تفيد تبعيض ما أضيفت إليه، ولذلك لزمتها

الإضافة، ألا ترى أنك إذا قلت: "لأضربن الذي في الدار"، لم يكن في اللفظ دلالة على أنه واحد من جماعة، كما تفيد "أي" ذلك؟(١).

نصّ النحاس على الإشكال:

قال أبو جعفر النحاس(٢):" قوله ـ تعالى ـ :{ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمنِ عِتِيًّا }، وهذه آية مشكلة في الإعراب؛ لأن القراء كلّهم يقرءون (أَيُّهُمْ) بالرفع إلّا هارون القارئ(٣)، فإن سيبويه(٤) حكى عنه {ثمّ لننزعنّ من كلّ شيعة أيّهم} بالنصب(٥)، أوقع على أيّهم لننزعنّ، قال أبو إسحاق(٦): في رفع «أيّهم» ثلاثة أقوال: قال الخليل بن أحمد(٧): حكاه عنه سيبويه إنه مرفوع على الحكاية، والمعنى عنده: ثم لننزعنّ من كلّ شيعة الذي يقال من أجل عتوّه أيّهم أشدّ على الرحمن عتيّا، وأنشد الخليل(٨):

---

(١) ينظر: **رسالتان في اللغة للرماني صـ ٤٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٣٨١/٢.**

(٢) **إعراب القرآن ١٦/٣.**

(٣)رويت عن هارون، ومعاذ بن مسلم الهراء، وطلحة بن مصرف، والأعرج، وهي قراءة شاذة. انظر هذه القراءة في: التبيان للعكبري ٢/ ٦٣، وشرح تسهيل الفوائد لابن مالك ٢٠٨/١، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٩، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي ٥١٣/١.

(٤) ينظر: الكتاب ٣٩٩/٢.

(٥) **وهي لغة جيدة لبعض العرب، وهي القياس، والأصل، والاستعمال في (أي) الموصولة، والشرطية، والاستفهامية.**

ينظر: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي ٥١٣/١.

(٦) المراد أبو إسحاق الزجاج، ينظر: **معاني القرآن وإعرابه الزجاج ٣٣٩/٣.**

(٧) وعلى هذا تكون (أي)استفهامية، ولذلك قدر القول؛ ليصح وقوع الاستفهام بعده.

ينظر: رأي الخليل في : الكتاب ٣٩٩/٢، وشرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي ١٦٣/٣، والبديع في علم العربية لابن الأثير ٢٣٩/٢، وأمالي ابن الحاجب ١٤٦/١.

(٨) من الكامل، للأخطل في ديوانه صـ ٦١٦.

اللغة: الحرج: المضيق عليه. المحروم: الممنوع مما يريده.

==

ولَقَدْ أَبِيتُ مِنَ الفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَبِيتُ لا حَرِجٌ ولا مَحْرُوم

أي فأبيت بمنزلة الذي يقال له: لا هو حرج ولا محروم، قال أبو جعفر(١): ورأيت أبا إسحاق(٢) يختار هذا القول ويستحسنه، قال: لأنه بمعنى قول أهل التفسير، وزعم أن معنى {ثم لننزعنّ من كلّ شيعة} ثم لننزعنّ من كلّ فرقة الأعتى فالأعتى، كأنه يبدأ بالتعذيب بأشدهم عتيا، ثمّ الذي يليه، وهذا نص كلام أبي إسحاق في معنى الآية. وقال يونس: لننزعن بمنزلة الأفعال التي تلغى فرفع «أيّهم» بالابتداء. وقال سيبويه(٣): (أيّهم) مبني على الضم؛ لأنها خالفت أخواتها في الحذف؛ لأنك لو قلت: رأيت الذي أفضل منك، ومن أفضل، كان قبيحا حتى تقول: من هو أفضل، والحذف في أيّهم جائز، قال أبو جعفر: وما علمت أن أحدًا من النحويين إلّا وقد خطّأ سيبويه في هذا، سمعت أبا إسحاق يقول: ما يبين لي أنّ سيبويه غلط في كتابه إلّا في موضعين هذا أحدهما، قال: وقد علمنا سيبويه أنه أعرب «أيّا» وهي منفردة؛ لأنها تضاف فكيف يبنيها وهي مضافة؟

==

المعنى: إنني أبيت في المكان الذي لا أجد فيه حرجا، أو منعا من زيارته.

الشاهد: لا حرج ولا محروم" فإن سيبويه ـ رحمه الله ـ خرج هذه العبارة نقلًا عن شيخه الخليل بن أحمد على أن قوله: "لا حرج" خبر مبتدأ محذوف ليس ضمير المتكلم، وجملة المبتدأ المحذوف وخبره في محل نصب على الحكاية بقول محذوف أيضًا، وتقدير الكلام على هذا: فأبيت مقولًا في شأني: هو لا حرج ولا محروم.

والبيت في: الكتاب لسيبويه ٨٤/٢، والأصول في النحو ٢٣٤/٢، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين٥٨٣/٢، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي ٥٠٧/١.

(١) المراد: النحاس.

(٢) المراد أبو إسحاق الزجاج، ينظر: **معاني القرآن وإعرابه الزجاج ٣٣٩/٣.**

(٣)**الكتاب ٣٩٩/٢.**

ولم يذكر أبو إسحاق فيما علمت إلا هذه الثلاثة الأقوال، قال أبو جعفر: وفيه أربعة أقوال سوى هذه الثلاثة الأقوال التي ذكرها أبو إسحاق، قال الكسائي: لننزعنّ واقعة على المعنى كما تقول: لبست من الثياب، وأكلت من الطعام، ولم يقع لننزعن على أيّهم فينصبها. وقال الفراء: المعنى ثم لننزعن بالنداء. ومعنى لننزعن لننادين إذا كان معناه لننزعن بالنداء. قال أبو جعفر: وحكى أبو بكر بن شقير أنّ بعض الكوفيين يقول: في أيّهم معنى الشرط والمجازاة، فلذلك لم يعمل فيها ما قبلها، والمعنى ثم لننزعن من كلّ فرقة إن تشايعوا أو لم يتشايعوا كما تقول: ضربت القوم أيّهم غضب، والمعنى: إن غضبوا أو لم يغضبوا، فهذه ستة أقوال، وسمعت علي بن سليمان يحكي عن محمد بن يزيد قال: أيّهم متعلّق بشيعة فهو مرفوع لهذا، والمعنى: ثم لننزعن من الذين تشايعوا أيهم، أي من الذين تعاونوا فنظروا أيّهم أشدّ على الرحمن عتيا، وهذا قول حسن".

من خلال ما قاله أبو جعفر يتبين أن (أي) يجوز نصبها وهو القياس، كما يجوز ضمها فإن قيل: فهذه الضمة في "أيُّهم" ضمة إعراب، أو ضمة بناء؟ قيل: اختلف النحويون في ذلك؛ فذهب سيبويه إلى أنَّها ضمة بناء؛ لأنَّهم لَمَّا حذفوا المبتدأ من صلتها دون سائر أخواتها؛ نقصت فبنيت، وكان بناؤها على الضَّمِّ أولى؛ لأنَّها أقوى الحركات، فَبُنِيَت على الضمة كـ" قبلُ ، وبعدُ" والذي يدلُّ على أنَّهم إنما بنوها لحذف المبتدأ، أنهم لو أظهروا المبتدأ، فقالوا: "ضربت أيّهم هو في الدار"؛ لَنَصبوا، ولم يبنوا.

والقول الثاني: هي ضمة الإعراب، وفيه خمسة أقوال:

أحدها: أنها مبتدأ وأشد خبره ; وهو على الحكاية. والتقدير: لننزعن من كل شيعة الفريق الذي يقال فيهم: (أيهم أشد)، فهو على هذا استفهام، وهو قول الخليل.

والثاني: كذلك في كونه مبتدأ وخبرا واستفهاما، إلا أن موضع الجملة نصب بننزعن، وهو فعل معلق عن العمل، ومعناه التمييز ; فهو قريب من معنى العلم الذي يجوز تعليقه، كقولك: علمت أيهم في الدار، وهو قول يونس.

والثالث: أن الجملة مستأنفة، وأي استفهام، ومن زائدة: أي لننزعن كل شيعة، وهو قول الأخفش والكسائي، وهما يجيزان زيادة «من» في الواجب.

والرابع: أن «أيهم» مرفوع بشيعة ; لأن معناه تشيع، والتقدير: لننزعن من كل فريق يشيع أيهم، وهو على هذا بمعنى الذي، وهو قول المبرد.

والخامس: أن «ننزع» علقت عن العمل ; لأن معنى الكلام معنى الشرط، والشرط لا يعمل فيما قبله، والتقدير: لننزعنهم تشيعوا أو لم يتشيعوا، أو إن تشيعوا، ومثله: لأضربن أيهم غضب ; أي إن غضبوا أو لم يغضبوا، وهو قول يحيى عن الفراء، وهو أبعدها عن الصواب(١).

وقد ردَّ الرماني(٢)، وابن الخشاب(٣)، وابن مالك(٤)، قول يونس، قال الرماني(٥) :"وأمَّا يونسُ فيجعلُه على تعليقِ الفعلِ كتعليقِهِ إذا قُلتَ: أشهدُ لزيدٌ خيرٌ منك...وأما مذهبُ يونسَ فلا يجوزُ ألبتةَ؛ لأنَّ (اضربْ) وما جرى مجراه من (يَنْزَعُ) ليس من الأفعال التي تُعلَّقُ؛ لأنه لا يصحُّ أنْ يكون معناها في الجملةِ التي هي اسمٌ وخبرٌ كما يصحُّ في العلم وأخواته؛ وذلك أنَّها إذا ألغيتْ؛ بقيت الجملةُ التي معنى الفعل فيها يعملُ بعضُها في بعضٍ, وليس كذلك: اضربْ وأخواتُها".

---

(١) ينظر: أسرار العربية لأبي البركات الأنباري صـ٢٦٥، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ٨٧٨/٢ .

(٢) ينظر: شرح كتاب سيبويه للرماني ٧٠٨/١.

(٣) ينظر: المرتجل في شرح الجمل لابن الخشاب صـ٣٠٨.

(٤) ينظر: شرح تسهيل الفوائد ٢٠٨/١.

(٥) ينظر: شرح كتاب سيبويه للرماني ٧٠٨/١.

واستحسن الرماني(١) قول الخليل، وسيبويه؛ حيث قال :" والذي عندي أنَّ قولَ الخليلِ جائزٌ حسنٌ, وكذلك مذهبُ سيبويه، وعلةُ جوازِ البناءِ في: اضربْ أيُّهم أفضلُ, خروجُه عن نظائره بما يقتضي حذفًا يكونُ الباقي بعدهَ بمنزلةِ بعضِ الاسم, وبعضُ الاسمِ مبنيٌّ, فجرى مَجرى: {مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ} [الروم: ٤]؛ منْ أجلِ الحذفِ الذي يقتضي تبقيةَ بعض الاسمِ, ولا يجوزُ ذلك في نظائره لعلَّةٍ قد اختصَّ بها, وهو ما ذكرنا".

وانتصر أبو علي(٢) لمذهب سيبويه في أن «أيّا» في هذا الموضع مبنية بأن قال: الموصول توضحه صلته والصلة إنما هي صلةٌ بالعائد فكان العائد هو الموضح؛ فإذا حذف المضمر –وهو العائد إلى أي– فقد حذف موضحها، أو ما هو بمنزلة موضحها فأشبهت بذلك حال «قبل وبعد»، وهما إنما يبنيان إذا حذف مبينهما وهو ما يضافان إليه ، وإذا أتما بذكره أعربا، فاعرف ذلك.

وذكر أبو البركات الأنباري(٣)، والعكبري(٤)، أن الكوفيين ذهبوا إلى أن "أيهم" إذا كان بمعنى الذي وحذف العائد من الصلة فهو معرب، نحو قولهم: "لأضربن أيَّهم أفضل".

وذهب البصريون إلى أنه مبنيّ على الضم(٥) .

---

(١) المرجع السابق.

(٢) ينظر: المرتجل في شرح الجمل لابن الخشاب صـ٣٠٨.

(٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٥٨٤.

(٤) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري ٢/١٢٣.

(٥) ينظر: الكتاب ١/ ٣٩٧، والأصول في النحو لابن السراج ٢/ ٣٢٤، والخصائص ٢/١٨٥، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٥٨٤.

وذهب الخليل بن أحمد(١) إلى أن "أيهم" مرفوع بالابتداء، و"أفضل" خبره، ويجعل "أيهم" استفهامًا، ويحمله على الحكاية بعد قول مقدر، والتقدير عنده: لأضربن الذي يقال له أيُّهُم أفضل.

وذهب يونس بن حبيب البصري إلى أن "أيهم" مرفوع بالابتداء، و"أفضل" خبره، ويجعل "أيهم" استفهامًا، ويعلق "لأضربن" عن العمل في "أيهم" فينزل الفعل المؤثر منزلة أفعال القلوب نحو "علمت أيهم في الدار".

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنه معرب منصوب بالفعل الذي قبله أنه قد جاء ذلك في كتاب الله تعالى وكلام العرب، قال الله تعالى: {ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا} [مريم: ٦٩] بالنصب، وهي قراءة هارون القارئ ومعاذ الهراء، ورواية عن يعقوب.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنها مبنية ههنا على الضم، وذلك لأن القياس يقتضي أن تكون مبنية في كل حال، لوقوعها موقع حرف الجزاء والاستفهام والاسم الموصول كما بنيت "مَنْ، وما" لذلك في كل حالٍ، إلا أنهم أعربوها حملًا على نظيرها، وهو "بَعْض" وعلى نقيضها وهو "كل"، وذلك على خلاف القياس، فلما دخلها نقص بحذف العائد ضعفت فردّتْ إلى أصلها من البناء على مقتضى القياس، كما أن "ما" في لغة أهل الحجاز لما كان القياس يقتضي أن لا تعمل، إذا تقدم خبرها على اسمها أو دخل حرف الاستثناء بين الاسم والخبر ردّ على ما يقتضيه القياس من بطلان عملها، فكذلك ههنا: لما كان القياس يقتضي أن تكون مبنية، لما حذف منها العائد ردّت إلى ما يقتضيه القياس من البناء، يدل عليه أن "أيهم" استعملت استعمالا لم تستعمل عليه أخواتها من حذف المبتدأ معها، تقول: "اضرب أيُّهم أفضل" تريد أيهم هو أفضل،

(١) ينظر: الكتاب ٣٩٩/٢، ونتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي صـ١٥٤،والإنصاف في مسائل الخلاف ٥٨٤/٢.

ولو قلت: "اضرب من أفضل، وكل ما أطيب" تريد من هو أفضل وما هو أطيب لم يجز، فلما خالفت "أي" أخواتها فيما ذكرناه زال تمكنها؛ لأن كل شيء خرج عن بابه زال تمكنه، فوجب أن تبنى إذا استعملت على خلاف ما استعمل عليه أخواتها.

وأرى أن احتجاج الكوفيين بقراءة من قرأ {ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ} [مريم: ٦٩] بالنصب –فهي قراءة شاذة جاءت على لغة شاذة لبعض العرب، والقراءة المشهورة التي عليها قَرَاءة الأمصار "أيهم" بالضم، وهي حجة عليهم.

وأما ما ذهب إليه الخليل من الحكاية فبعيد في اختيار الكلام، وإنما يجوز مثله في الشعر.

وأما قول يونس فضعيف؛ لأن تعليق "اضرب" ونحوه من الأفعال لا يجوز؛ لأنه فعل مؤثر فلا يجوز إلغاؤه، وإنما يجوز أن تعلق أفعال القلوب عن الاستفهام، وهذا ليس بفعل من أفعال القلوب؛ فكان هذا القول ضعيفًا جدًّا.

وعلى هذه التوجيهات التي ذكرها النحويون يزول الإشكال في كلمة (أيهم) .

والله أعلى وأعلم

* * *

المسألة الثالثة: عود ضمير الجمع (هنّ) من (فيهن) على المثنى : (جنتين) في قوله ـ تعالى ـ :{ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}[سورة الرحمن].

يجوز بكثرة حذف المنعوت إن علم، وكان النعت إما" مفردًا "صالحا لمباشرة العامل"، إما باختصاص النعت بالمنعوت كـ: مررت برجل راكب صاهلًا، أي: فرسًا صاهلًا، أو بمصاحبة ما يعينه ، نحو: {وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ} " [سبأ: ١٠–١١] ،أي: اعمل دروعًا سابغاتٍ، فحذف المنعوت؛ للعلم به مع أن النعت لا يختص بالمنعوت، ولكن تقدم ذكر الحديد أشعر به، وحيث حذف

الموصوف أقيمت صفته مقامه، لكونها صالحة لمباشرة ما كان المنعوت مباشرة، فإن لم يصلح لمباشرة العامل امتنع حذفه غالبًا(١).

نصّ النحاس على الإشكال

قال أبو جعفر النحاس(٢):" {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}،قال أبو جعفر: قد ذكرنا هذا الضمير وعلى من يعود، وفيه إشكال قد بيّناه، والتقدير: فِيْهِنَّ حُورٌ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ".

يبين أبو جعفر أن قاصرات الطرف صفة لموصوف محذوف، والتقدير: حور قاصرات الطرف، وأن الإشكال في عود الضمير من الجمع إلى التثنية في (الجنتين).

وقد دفع هذا الإشكال الإمام العكبري(٣) ؛ حيث ذكر أن الضمير(فيهن) : يجوز أن يكون لمنازل الجنتين، وأن يكون للفرش؛ أي عليهن.

وذكر أبو حيان(٤)، والسمين الحلبي(٥)، وابن عادل(٦) دفع هذا الإشكال من وجوه:

الأول: أن أقل الجمع اثنان على قول، وله شواهد قد تقدم أكثرها.

الثاني: أنه عائد على الجنات المدلول عليها بالجنتين.

الثالث: أن كل فرْد فُرِّدَ له جنتان فصح أنها جنات كثيرة.

الرابع: أن الجنة تشتمل على مجالس وقصور ومنازل فأطلق على كل واحد منها جنة.

---

(١) ينظر: التصريح بمضمون التوضيح ١٢٧/٢.

(٢) **إعراب القرآن ٢١١/٤.**

(٣)ينظر: **التبيان في إعراب القرآن ١٢٠١/٢.**

(٤)ينظر: **البحر المحيط في التفسير ٦٨/١٠.**

(٥)ينظر: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١٨١/١٠.**

(٦)ينظر: **اللباب في علوم الكتاب ٣٤٨/١٨.**

الخامس: أن الضمير يعود على الفرش. وهذا قول حسن قليل الكلفة.

السادس: «فِيهِنَّ» أي: في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين، والفاكهة والفرش والجنى ذكره الزمخشري(١).

قال أبو حيان(٢): «وفيه بُعْد» .

وذكر ابن عادل(٣)أن الاستعمال أن يقال: على الفراش كذا، ولا يقال: في الفراش كذا إلا بتكلّف.

فلذلك جمع الزمخشري مع الفرش غيرها حتى صح له أن يقول: «فيهن» بحرف الظرفية؛ ولأن الحقيقة أن يكون الإنسان على الفرش؛ لأنه مستعمل عليها.

ويرى الباحث أن كل التأويلات المذكورة حسنة ،فيجوز أن يكون الضمير لمجموع الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة وغيرها مما سبق ذكره، كما يجوز أن يكون للجنتين، وإنما جمعه؛ لاشتمال الجنتين على قصور ومنازل، كما يجوز أن يكون الضمير للمنازل والقصور التي دل عليها ذكر الجنتين، كما يجوز أن يكون لمجموع الجنان التي دل عليها ذكر الجنتين، أو أن الضمير عائد إلى الفرش؛ لأنها أقرب، وعلى هذا القول "في" بمعنى :"على" كما في قوله ـ تعالى ـ :{ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ} [الطور:٣٨] .

والله أعلى وأعلم

* * *

(١)ينظر: الكشاف ٤/٤٥٢.

(٢)ينظر: البحر المحيط في التفسير ١٠/٦٨.

(٣)ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٨/٣٤٨.

المسألة الرابعة : تعدية الفعل (يُلبس) إلى ما لا يقبل معناه : ضمير العقلاء (كم) في ظاهر قوله ـ تعالى ـ :{أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا}[سورة الأنعام ، من الآية: ٦٥]

اعلم أن المفعول لما كان فضلة تستقل الجملة دونه، وينعقد الكلام من الفعل، والفاعل بلا مفعول، جاز حذفه وسقوطه، وإن كان الفعل يقتضيه، وحذفه على ضربين:

أحدهما: أن يحذف وهو مراد ملحوظ، فيكون سقوطه لضرب من التخفيف، وهو في حكم المنطوق به.

والثاني: أن تحذفه معرضا عنه البتة، وذلك أن يكون الغرض الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل من غير تعرض لمن وقع به الفعل، فيصير من قبيل الأفعال اللازمة، نحو: ظرف، وشَرُف، وقام، وقعد(١).

نصّ النحاس على الإشكال:

قال أبو جعفر النحاس(٢):"{أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} وروي عن أبي عبد الله المدني{ أَوْ يُلْبِسَكُمْ} ـ بضم الياء ـ (٣)، أي: يجلّلكم العذاب، ويعمّكم به، وهذا من اللُّبس ـ بضم اللام ـ والأول من اللَّبس بفتحها، وهو موضع مشكل، والإعراب يبيّنه، قيل: التقدير: أو يلبس عليكم أمركم فحذف أحد المفعولين، وحرف الجر، كما قال ـ جلّ وعزّ ـ:{وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ} [المطففين: ٣]، وهذا اللبس بأن يكون يطلق لبعضهم أن يحارب بعضا، أو يريهم آية يتفرقون عندها فيروا شيعًا، و{شِيَعًا} نصب على الحال، أو المصدر، وقيل: معنى يلبسكم شيعا

---

(١) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٤١٩/١.

(٢) إعراب القرآن ١٤/٢.

(٣) تنظر هذه القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان ٥٤٣/٤.

يقوّي عدوكم حتى يخالطكم فإذا خالطكم فقد لبسكم فرقًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ بالحرب".

فالنحاس يزيل الغموض واللبس في هذه الآية من خلال الإعراب فعلى قراءة من فتح الياء في كلمة (يَلْبِسَكُمْ)، يكون الأمر ملبس ومشكل ، وإزالة هذا اللبس وهذا الغموض يكون بجعل المفعول به محذوفا مع حرف الجر ، أي: يلبس عليكم أمركم شيعًا، وشيعًا إما حال، أو مفعول مطلق؛ لأن قوله: { أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا} في قراءة الجمهور بفتح التحتية ، من لبس الأمر : إذا خلطه ، وهذا لا يصح إلا بهذا التقدير، فحذف أحد المفعولين مع حرف الجرّ، كما في قوله ـ تعالى ـ : { وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ } [المطففين : ٣] ، أي: كالوا لهم الطعام. والمعنى : يجعلكم مختلطي الأهواء مختلفي النحل متفرقي الآراء ، وقيل : يجعلكم فرقًا يقاتل بعضكم بعضًا، والشيع : الفرق أي: يخلطكم فرقا، والذي قاله أبو جعفر تبعه فيه القرطبي(١)، والشوكاني(٢) ، ومحمد صديق خان(٣).

وذكر برهان الدين الكرماني المعروف بتاج القراء(٤) ثلاثة أقوال:

أحدها: أو يلبس أمركم، فحذف المضاف، والمعنى: يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق.

الثاني: أو يلبس عليكم أمركم، فحذف الجار، وحذف أحد المفعولين، كما حذفا من قوله: (كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ) : أي: كالوا لهم الطعام.

الثالث: وهو الغريب: يقوي عدوكم حتى يخالطوكم، فإذا خالطوهم فقد لبسوكم شيعًا.

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/٧.

(٢) ينظر: فتح القدير ١٤٤/٢.

(٣) ينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن ١٢١/٤.

(٤) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل ٣٦٤/١.

ويرى أن «يُلبسكم» بضم الياء من ألبس فهو على هذه استعارة من اللباس، فالمعنى: أو يُلبسكم الفتنة شيعًا، وعلى قراءة القرأة بالفتح من:"لبَس يلبِس"، وذلك هو معنى الخلط، وإنما عنى بذلك: أو يخلطكم أهواء مختلفة وأحزابًا مفترقة.

والله أعلى وأعلم

* * *

المسألة الخامسة: الإخبار عن المبتدأ (مَنْ) بجملة ليست هي نفسه في المعنى وغير مربوطة به:(إنَّ ذلك من عزم الأمور)، في ظاهر قوله ـ تعالى ـ :{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[سورة الشورى : آية ٤٣]

من المعلوم أن خبر المبتدأ إذا وقع جملة فعلية كانت، أو اسمية، فلا بد فيها من ضمير يرجع إلى المبتدأ يربطها بالمبتدأ؛ لئلا تقع أجنبية من المبتدأ إذا كانت غير الأول، وأن الراجع إلى المبتدأ إذا كان الخبر جملة؛ فإنه يجوز حذفه، وإسقاطه مع شدة الحاجة إليه، وذلك إذا كان موضع المضمر معلوما غير ملتبس، كقولهم: "السمن منوان بدرهم" فـ "السمن" مبتدأ، و"منوان" مبتدأ ثان، و"بدرهم" خبر المبتدأ الثاني، و"المنوان" وخبره خبر المبتدأ الأول. والعائد محذوف تقديره: منوان منه بدرهم. فموضع "منه" المحذوف رفع لأنه صفة لـ "منوين"، وفيه ضميران: أحدهما مرفوع يعود إلى الموصوف، وهو المنوان، والثاني الهاء المجرورة، وهي تعود إلى السمن، لا بد من هذا التقدير؛ لئلا ينقطع الخبر عن المبتدأ، ولم يتصل به، وساغ حذف العائد هاهنا؛ لأن حصول العلم به أغنى عن ظهوره، وذلك أن السمن هنا جنس، وما بعده بعض من الجنس، وإنما يذكر هذا الكلام لتسعير الجنس، يقابل كل مقدار منه بمقدار من الثمن، فكأنه قال: "السمن كله منوان منه بدرهم"، ولولا هذا التقدير لكان المعنى أن السمن كله منوان، وأنه بدرهم، والمراد غير ذلك(١).

(١) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري١٣٩/١، وشرح المفصل لابن يعيش ١٣٣/١.

نصّ النحاس على الإشكال:

قال أبو جعفر النحاس(١): "قوله:{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}

وفيه إشكال من جهة العربية وهو أنّ «لمن صبر وغفر» مبتدأ ولا خبر له في اللفظ، فالقول فيه: إن فيه حذفًا، والتقدير: ولمن صبر وعفا أنّ ذلك منه لمن عزم الأمور، ومثل هذا في كلام العرب كثير موجود، حكاه سيبويه وغيره: مررت ببرّ قفيز بدرهم، أي: قفيز منه، ويقال: السّمن منوان بدرهم بمعنى منه".

يبين أبو جعفر في هذا الكلام أن الإشكال في أنه مبتدأ ولا خبر له في اللفظ، وأن القول فيه أن فيه حذف العائد، والتقدير: ولمن صبر وعفا أنّ ذلك منه لمن عزم الأمور.

والذي قاله أبو جعفر سبقه فيه الأخفش(٢)، وفخر الدين الرازي(٣)، والبيضاوي(٤).

ويرى أبو علي الفارسي(٥)، وابن الأثير(٦)، وابن يعيش(٧)، أن (من) اسم مبني في محل رفع مبتدأ أول، واسم الإشارة (ذلك) في محل رفع مبتدأ ثان وقوله ـ عز وجل ـ : {لمن عزم الأمور} في موضع الخبر، ولم يرجع إلى المبتدأ الذي هو: {ولمن صبر وغفر} ذكر من اللفظ، ولابد أن ينوى في العقل، والتقدير:

---

(١) إعراب القرآن ٦١/٤.

(٢) ينظر: معانى القرآن ٥١١/٢.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ٦٠٧/٢٧.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٨٣/٥.

(٥) ينظر: الإيضاح العضدي صـ٤٥.

(٦) ينظر: البديع في علم العربية ٨٢/١.

(٧) ينظر: شرح المفصل ١٣٣/١.

إن ذلك الصبر منه أي من الصابر، قال أبو علي الفارسي حيث قال(١) :" ولابد من ذكر يعود من الجملة إلى المبتدأ لو قلت: زيد عمرو منطلق لم يجز كما أنه لو قيل: زيد قام عمرو لم يجز، وقد تحذف الرواجع من هذه الجمل إلى المبتدأ الأول كقولهم: السمن منوان بدرهم والتقدير: منوان منه بدرهم، لابد من تقدير هذا في النفس؛ ليعود الضمير الذي في "منه" إلى المبتدأ الذي هو السمن، ومثل ذلك قوله ـ تعالى ـ : {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}، التقدير: إن ذلك الصبر منه أي من الصابر لأن "ذلك" ابتداء، وقوله [عز وجل]: {لمن عزم الأمور} في موضع الخبر، ولم يرجع إلى المبتدأ لذي هو: {ولمن صبر وغفر} ذكر من اللفظ وهذا النحو كثير".

ويرى العكبري(٢) أن (من) شرطية، و (صبر) في موضع جزم بها، والجواب (إن ذلك) : وقد حذف الفاء.

ورده ابن هشام(٣)؛ لأن إضمار الفاء مختص بالشعر .

ومن خلال ما سبق يتبين أن العائد محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، ومتى كان موضع المضمر معلوما غير ملتبس جاز حذفه، كقولهم: السمن منوان بدرهم، فـ (السمن) مبتدأ، و(منوان) مبتدأ ثان، و(بدرهم) خبر المبتدأ الثاني، و(المنوان) وخبره خبر المبتدأ الأول، والعائد محذوف تقديره: منوان منه بدرهم.

والله أعلى وأعلم

* * *

(١) ينظر: الإيضاح العضدي صـ٤٥.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/١١٣٥.

(٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب صـ ٦٤٨.

المسألة السادسة: العطف على ضمير الرفع المتصل: واو الجماعة في (يدخلون) دون توكيده بضمير منفصل، في ظاهر قوله ـ تعالى ـ :{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ}[سورة الرعد: الآيات ٢٣]

يُعْطَفُ عَلى الضَّمِيرِ المُنْفَصِلِ مَرْفُوعًا، أو مَنصُوبًا، وعلى الضَّمير المتَّصِلِ المَنصوبِ بغَيرِ شَرطٍ، نحو "أنتَ وزَيْدٌ تُسرِعَان" و "ما أَدعو إلاَّ إيَّاكَ وخَالِداً" ونحو قولِه تعالى: {جَمَعناكُم والأَوَّلينَ} [المرسلات: ٣٨].

ولا يَحسُنُ العَطفُ على الضَّمير المتَّصلِ المَرْفُوعِ بَارِزًا كان، أو مُستَتِرًا إلاَّ بعدَ توكِيدِهِ بِضميرٍ مُنفَصلٍ، نحو: {لَقَد كُنتُم وآبَاؤُكُم في ضَلالٍ مُبِينٍ} [الأنبياء: ٥٤]، {اسكُن أنتَ وَزَوجُكَ الجَنَّةَ} (البقرة :٣٥)، أو بوُجُودِ فَصلٍ ما، نحو {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها وَمَنْ صَلَحَ} [الرعد:٢٣](١).

نص النحّاس على الإشكال:

قال أبو جعفر النحاس(٢):" {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها وَمَنْ صَلَحَ} ... يَدْخُلُونَها وَمَنْ صَلَحَ، وهذا من مشكل النحو؛ لأن أكثر النحويين يقولون: ضربته وزيد قبيح حتى يؤكد المضمر، فتكلّم النحويون في هذا حتى قال جماعة منهم: قمت وزيد، جيد بألف؛ لأن هذا ليس بمنزلة المجرور؛ لأن المجرور لا ينفصل بحال، وكان أبو إسحاق يذهب إلى أن الأجود: قمت وزيدًا، بمعنى: معا، إلّا أن يطول الكلام فتقول: قمت في الدار وزيد، وضربتك أمس وزيد وإن شئت نصبت، وإنما ينظر في هذا إلى ما كان منفصلا فيشبّه بالتوكيد، قال أبو جعفر: يجوز عندي- والله أعلم- أن يكون «من» في موضع رفع، ويكون التقدير: أولئك ومن صلح من آبائهم، وأزواجهم، وذرّياتهم لهم عقبى الدار".

(١) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي ١٠٢٣/٢.

(٢) إعراب القرآن ٢٢٣/٢.

يبين أبو جعفر النحاس الوجه في إزالة الإشكال في هذه الآية وبين أن من في موضع رفع ويكون التقدير: أولئك ومن صلح من آبائهم، وأزواجهم، وذرّياتهم لهم عقبى الدار.

ويرى الزجاج(١)، وابن سيده(٢)،والعكبري(٣)، والبيضاوي(٤)، والنسفي(٥) أن (ومن صلح) يجوز فيه وجهان من الإعراب : الأول: أن يكون معطوفًا على الضمير المتصل في الفعل يدخلونها؛ والذي سوغ ذلك الفصل بالمفعول به، فيكون دعاء من الملائكة بإدخال هؤلاء الأصناف الجنة؛ تكميلا لأنس الأولين؛ وتتميما لابتهاجهم؛ وإشفاقا على هؤلاء أيضا.

الثاني: أن يكون منصوبًا على أنه مفعول معه، أي: يدخلونها مع من صلح.

قال الزجاج(٦):"{يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ} موضع " مَنْ " رفع، عطف على الواو في قوله: (يَدْخُلُونَهَا)وجائز أن يكون نصبًا، كما تقول قد دخلوا وزيدا أي مع زيدٍ، أعلم الله – عزَّ وجلَّ – أن الأنسابَ لا تنفع بغير أعمال صالحة فقال: يَدْخُلونَها وَمَنْ صَلَح مِمنْ جَرَى ذِكْرُه".

ويرى القرطبي(٧) أنه يجوز فيها أربعة أوجه من الإعراب:

الأول: يجوز أن يكون معطوفا على" أولئك"، والمعنى: أولئك ومن صلح من آبائهم، وأزواجهم، وذرياتهم لهم عقبى الدار.

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٢٧/٣.

(٢) ينظر: إعراب القرآن ٥٥/٦.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٧٥٧/٢.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٨٦/٣.

(٥) ينظر: تفسير النسفي ٢٧٠/٢.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٢٧/٣.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/٩.

الثاني: ويجوز أن يكون معطوفا على الضمير المرفوع في" يدخلونها" وحسن العطف لما حال الضمير المنصوب بينهما.

والثالث: ويجوز أن يكون المعنى: يدخلونها ويدخلها من صلح من آبائهم، أي من كان صالحا، لا يدخلونها بالأنساب.

والرابع: ويجوز أن يكون موضع" من" نصبا على تقدير: يدخلونها مع من صلح من آبائهم، وإن لم يعمل مثل أعمالهم يلحقه الله بهم كرامة لهم.

ويرى ابن مالك(١) ، والمرادي(٢)، وابن هشام(٣)، والإيجي(٤)، والأشموني(٥)، أن قوله: { ومن صلح } اسم موصول مبني في محل رفع عطفا على الضمير واو الجماعة في الفعل (يدخلونها) والذي سوغ هذا العطف ، أي: عطف الاسم الظاهر على الضمير المتصل المرفوع الفصل بالمفعول به (ها).

ومن هنا يزول الإشكال بهذه الإعرابات التي ذكرها العلماء وإن كنت أرجح الرفع على أن معطوف على الضمير في الفعل (يدخلونها) وساغ ذلك الفصل بالضمير المتصل.

والله أعلى وأعلم

* * *

(١) ينظر: **شرح الكافية الشافية ٣/١٢٤٤.**

(٢) ينظر: **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك٢/١٠٢٣.**

(٣) ينظر: **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ١/٥٨٢.**

(٤) ينظر: **جامع البيان في تفسير القرآن٢/٢٧٠.**

(٥) ينظر: **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك١/٢٢١.**

المسألة السابعة : تعدية الفعل اللازم: (آمن)باللام في(لمن تبع)وبنفسه في المصدر المؤول: (أن يؤتى) في ظاهر قوله ـ تعالى ـ : {وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى الله أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ}[سورة آل عمران: ٧٣]

تأتي اللام زائدة في الكلام كما في قوله ـ تعالى ـ : {قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ }، المعنى: ردفكم، وقول الله ـ تعالى ـ : {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ } الأصل: الرؤيا تعبرون؛ لأنك تقول: عبرت الرؤيا، ولا تقول: عبرت للرؤيا(١).

نص النحّاس على الإشكال:

قال أبو جعفر النحاس(٢):"{ وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ}، قال أبو جعفر: هذه الآية من أشكل ما في السورة وقد ذكرناه، والإعراب يبيّنها، فيها أقوال: فمن قال: إنّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، فإنّ المعنى: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلّا من اتّبع دينكم، وجعل (اللام) زائدة ، فهو عنده استثناء ليس من الأول، وإلّا لم يجز التقديم، ومن قال: المعنى على غير تقديم ولا تأخير جعل اللام أيضا زائدة، أو متعلقة بمصدر، أي: لا تجعلوا تصديقكم إلّا لمن اتّبع دينكم بأن يؤتى أحد من العلم برسالة النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ مثل ما أوتيتم. وتقدير ثالث، أي: كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، وقال الفراء(٣): يجوز أن يكون قد انقطع كلام اليهود عند قوله: {إلّا لمن تبع دينكم} ثم قال لمحمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ :{قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى الله }،أي: إنّ البيان بيان الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أي: بيّن أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ،وصلحت أحد؛ لأن (أن) بمعنى (لا) مثل:{ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا } [النساء: ١٧٦]، أي: أن لا تضلّوا".

---

(١) ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش ٦/٢٩٣٦.

(٢) إعراب القرآن ١/١٦٥.

(٣) ينظر: معاني القرآن ١/٢٢٢ .

يذكر أبو جعفر النحاس أن هذه الآية من أشكل وأصعب وأغمض ما في هذه السورة، ويبين أن الإعراب هو الذي يزيل هذا الخفاء والإشكال ، وذلك من وجوه:

الأول : عن طريق التقديم والتأخير، وجعل اللام في (لمن) صلة، والمعنى: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلّا من اتّبع دينكم، فهو عنده استثناء ليس من الأول .

الثاني: أنه لا يوجد تقديم ولا تأخير ، ولكن (اللام) صلة، أو متعلقة بمصدر، أي: لا تجعلوا تصديقكم إلّا لمن اتّبع دينكم بأن يؤتى أحد من العلم برسالة النبي . صلّى الله عليه وسلّم . مثل ما أوتيتم.

الثالث: كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم.

الرابع: يجوز أن يكون قد انقطع كلام اليهود عند قوله: {إلّا لمن تبع دينكم} ثم قال لمحمد . صلّى الله عليه وسلّم . :{قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى الله }،أي: إنّ البيان بيان الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أي: بيّن أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ،وصلحت أحد ؛ لأن (أن) بمعنى: (لا)، مثل:{ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا } [النساء: ١٧٦]، أي: أن لا تضلّوا.

ويرى الطبري(١)، والثعلبي(٢) ، والسمعاني(٣) أن قوله – تَعَالَى –: {وَلَا تؤمنوا إِلَّا لمن تبع دينكُمْ} أَي: لَا تصدقوا إِلَّا من تبع دينكُمْ، (وَاللَّام) فِيهِ صلة، كَمَا قَالَ: {قَالَ عَسى أَن يكون ردف لكم} أَي: ردفكم، وَهَذَا فِي الْيَهُود أَيْضا، قَالُوا: لَا تصدقوا إِلَّا من وافقكم فِي ملتكم، ثمَّ ابْتَدَأَ الله تَعَالَى فَقَالَ: {قل إِن الْهدى هدى الله} أَي: إِن الْبَيَانَ بَيَانُ اللهِ.

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥/٥٠٠.

(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣/٩٢.

(٣) ينظر: تفسير القرآن ١/٣٣٢.

وذكر العكبري فيها وجهين(١):

أحدهما: أنه استثناء مما قبله، والتقدير: ولا تقروا إلا لمن تبع، فعلى هذا اللام غير زائدة، ويجوز أن تكون زائدة، ويكون محمولا على المعنى ; أي اجحدوا كل أحد إلا من تبع.

والثاني: أن النية التأخير، والتقدير: ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا من تبع دينكم، فاللام على هذا زائدة، ومن في موضع نصب على الاستثناء من أحد.

وذكر ابن عادل فيها تسعة توجيهات(٢):

الأول: أن قوله: {أَن يؤتى أَحَدٌ} متعلق بقوله: {وَلاَ تؤمنوا} على حذف حرف الجر، ويكون قولُه: {قُلْ إِنَّ الهدى هُدَى الله} جملةً اعتراضيةً.

الوجه الثاني: أن اللام زائدة في {لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ} وهو مستثنى من» أحَد «المتأخِّر، والتقدير: ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا مَنْ تَبعَ دينَكُمْ، فـ {لِمَنْ تَبِعَ} منصوب على الاستثناء من أحد .

الوجه الثالث: أن يكون {أَن يؤتى} مجرورًا بحرف العلة – وهو اللام – والمُعَلَّل محذوف، تقديره لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك، ودبَّرتموه، لا لشيء آخرَ، وقوله: {إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ} معناه: ولا تؤمنوا هذا الإيمانَ الظاهرَ – وهو إيمانكم وَجْهَ النَّهَارِ – {إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ} ، إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم؛ لأن رجوعَهم كان أرْجَى عندهم من رجوع من سواهم، ولأن إسلامَهم كان أغبط لهم.

الوجه الرابع: أن ينتصب {أَن يؤتى} بفعل مقدَّرٍ، يدل عليه: {وَلاَ تؤمنوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ} إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتُوا.

---

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/٢٧٠.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٥/٢٢١.

الوجه الخامس: أن يكون {هُدَى الله} بدلاً من «الْهُدَى» الذي هو اسم «إنَّ» ويكون خبر {أَن يؤتى أَحَدٌ} ، قُلْ إنَّ هدى الله أن يؤتى أحد، أي إن هدى الله آتياً أحداً مثل ما أوتيتم، ويكون «أوْ» بمعنى «حتى» ، والمعنى: حتى يحاجوكم عند ربكم، فيغلبوكم ويدحضوا حُجَّتَكم عند الله، ولا يكون {أَوْ يُحَاجُّوكُمْ} معطوفاً على {أَن يؤتى} وداخلاً في خبر إن.

الوجه السادس: أن يكون {أَن يؤتى} بدلاً من {هُدَى الله} ويكون المعنى: قُلْ بأن الهدى هدى الله، وهو أن يؤتى أحد كالذي جاءنا نحن، ويكون قوله: {أَوْ يُحَاجُّوكُمْ} بمعنى فليحاجوكم، فإنهم يغلبونكم، قال ابنُ عطية: وفيه نظرٌ؛ لأن يؤدي إلى حذف حرف [النهي] وإبقاء عمله.

الوجه السابع: أن تكون «لا» النافية مقدَّرة قبل {أَن يؤتى} فحذفت؛ لدلالة الكلام عليها، وتكون «أو» بمعنى «إلاَّ أن» والتقدير: ولا تؤمنوا لأحد بشيء إلا لمن تبع دينَكم بانتفاء أن يؤتى أَحَدٌ مثل ما أوتيتم إلا من تَبع دينَكُمْ، وجاء بمثله، فإن ذلك لا يؤتى به غيركم إلا أن يحاجوكم.

الوجه الثامن: أن يكون {أَن يؤتى} مفعولاً من أجله، وتحرير هذا القول أن يجعل قوله: {أَن يؤتى أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ} ليس داخلاً تحت قوله: «قل» بل هو من تمام قول الطائفة، متصل بقوله: ولا تؤمنوا إلا لمن جاء بمثل دينكم مخافةَ أن يؤتى أحد من النُّبُوَّة والكرامة مثل ما أوتيتم، ومخافةَ أن يُحاجُّوكم بتصديقكم إياهم عند ربكم إذا لم تستمروا عليه.

الوجه التاسع: أن «أنْ» المفتوحة تأتي للنفي – كما تأتي «لا» ، نقله بعضهم أيضا عن الفراء، وجعلَ «أو» بمعنى «إلا» ، والتقدير: لا يُؤتَى أحد ما أوتيتم إلا أن يحاجُّوكم، فإن إيتاءه ما أوتيتم مقرون بمغالبتكم أو محاجتكم عند ربكم.

وأرى أن هذه التوجيهات قد دفعت الإشكال، وكلها محتملة.

والله أعلى وأعلم

* * *

المبحث الثاني:
المسائل التي يعود إشكالها إلى إيحاء ظاهرها باستحالة المعنى، أو بعد، أو خفاء:
وفيه عشرة مسائل :

المسألة الأولى: نعت القوم (عاد) باسم موضع سكناهم : (إرم) ، أو إبداله منهم ، في ظاهر قوله ـ تعالى ـ : {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ}[سورة الفجر: ٦ الى ٧].

اعلم أن أسماء القبائل مؤنثةٌ: كقولك: هذه تميمُ تشهدُ عليك، وقد حضرتكَ هاشمُ، وأنت في تميمٍ وأسدٍ بالخيار: إن شئت أجريت، وإن شئت لم تُجرِ، فمن أجراه قال: هو اسم معروف مذكَّرٌ سُميت القبيلةُ به، فأجريته؛ إذ كان مذكرًا، ومن لم يُجره قال: هو اسم للقبيلة، فمنعته الإجراء للتعريف والتأنيث(١).

نص النحاس على الإشكال:

قال أبو جعفر النحاس(٢):"{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ} وفي قراءة الحسن {بِعادِ إِرَمَ} أضاف عاد إلى إِرَمَ ،ولم يصرف إرم، وهذه الآية مشكلة على كثير من أهل العربية، يقول كثير من الناس: إنّ إرم اسم موضع فكيف يكون نعتا لعاد أو بدلا منه؟ ويقال: كيف صرف عاد ولم يصرف إرم؟ فقد زعم محمد بن كعب القرظبيّ أن إرم الإسكندرية، وقال المقبريّ: إرم دمشق، وكذا قال مالك بن أنس: بلغني أنها دمشق رواه عنه ابن وهب، وقال مجاهد: إرم القديمة، وقد روي عنه غير هذا، وعن ابن عباس إرم الهالك، وعن قتادة إرم القبيلة. قال أبو جعفر: والكلام في هذا من جهة العربية أن أبين ما فيه قول قتادة: إن إرم قبيلة من عاد، فأما أن يكون إرم الإسكندرية، أو دمشق فبعيد لقول الله ـ تعالى ـ: {وَاذْكُرْ أَخا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقافِ} [الأحقاف: ٢١] والحقف: ما التوى من الرمل، وليس كذا دمشق، ولا الإسكندرية، وقد قيل: إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ مدينة عظيمة موجودة في هذا الوقت، فإن صحّ هذا فتلخيصه في النحو: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

(١) ينظر: المذكر والمؤنث ١١٢/٢.

(٢) إعراب القرآن ١٣٧/٥.

فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ صاحبة إرم، مثل:{وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف: ٨٢] (ذاتِ الْعِمادِ) نعت لعاد على معنى القبيلة، أو لأرم وكذا".

من خلال قول الإمام أبي جعفر النحاس يتبين أنه يرى أن إرم ممنوعة من الصرف؛ لأنها اسم قبيلة، وهي على حذف مضاف والتقدير: ألم تر كيف فعل ربك بعاد صاحبة(إرم).

ويرى الإمام الفراء(١) أن القراء منعوا صرف (إرم)؛ لأنها فيما ذكروا اسم بلدة، وذكر الكلبى بإسناده أن (إرم) سام بن نوح، فإن كان هكذا اسما فإنما ترِك إجراؤه؛ لأنه كالعجمي.

وذكر الإمام الطبري(٢) أن (إرم) إما بلدة كانت عاد تسكنها؛ فلذلك ردّت على عاد للإتباع لها، ولم يجر من أجل ذلك فهي ممنوعة من الصرف ، وإما اسم قبيلة فلم يُجر أيضا، كما لا يُجْرى أسماء القبائل، كـ (تميم)، و(بكر)، وما أشبه ذلك؛ إذا أرادوا به القبيلة، وأما اسم عاد فلم يجر، إذ كان اسما أعجميا، وفي ترك الإجراء دليل على أنه ليس بنعت ولا صفة، ثم قال : وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها، وترك إجرائها، كما يقال: ألم تر ما فعل ربك بتميم نهشل؟ فيترك إجراء نهشل، وهي قبيلة، فترك إجراؤها لذلك، وهي في موضع خفض بالردّ على تميم، ولو كانت إرم اسم بلدة، أو اسم جدّ لعاد لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها، كما يقال: هذا عمروُ زبيدٍ وحاتمُ طيئ، وأعشى هَمْدانَ، ولكنها اسم قبيلة منها فيما أرى، كما قال قتادة، والله أعلم، فلذلك أجمعت القرّاء فيها على ترك الإضافة وترك الإجراء.

---

(١) ينظر: معاني القرآن ٣/٢٦٠.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٤/٤٠٤.

ويرى الزجاج (١)أن(إرم) لم تنصرف؛ لأنها جعلت اسمًا للقبيلة، فلذلك فتحت وهي في موضع جَرٍّ.

ويرى مكي ابن أبي طالب(٢) أن (إرم) قبيلة من عاد، مملكة عاد، وهذا قول يصح معه ترك صرف " إرم ".

وقال بعض أهل النسب: إرم هو سام بن نوح، ويلزم صرفه أيضا؛ لأنه مذكر.

ويرى الإمام الزمخشري (٣)أن (إرم) عطف بيان لعاد، وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة. وقيل إِرَمَ بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير: بعاد إرم، على الإضافة. وتقديره: بعاد أهل إرم، كقوله :{وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ} ولم تنصرف قبيلة كانت، أو أرضا للتعريف والتأنيث.

ويرى الإمام فخر الدين الرازي(٤) أن (إرم) ممنوعة من الصرف على كل حال للتعريف والتأنيث، وفيها وجهان من الإعراب ، فإذا جعلتها اسمًا للقبيلة كانت عطف بيان لعاد، وإن جعلت اسمًا للبلدة، أو الأعلام فهي على حذف مضاف، والتقدير : بعاد أهل إرم.

ويرى أبو حيان(٥)أنه يَتَرَجَّحُ كَوْنُهَا مَدِينَةً بِقَوْلِهِ: {لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ}، فَإِذَا كَانَتْ قَبِيلَةً صَحَّ إِضَافَةُ عَادٍ إِلَيْهَا وَفَكُّهَا مِنْهَا بَدَلًا، أَوْ عَطْفَ بَيَانٍ، وَإِنْ كَانَتْ مَدِينَةً فَالْإِضَافَةُ إِلَيْهَا ظَاهِرَةٌ وَالْفَكُّ فِيهَا يَكُونَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَيْ بِعَادٍ أَهْلِ إرم ذات العماد.

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٢٢/٥.

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ٨٢٤١/١٢.

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٧٤٨/٤.

(٤) مفاتيح الغيب ١٥٢/٣١.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٤٦٤/٨.

من خلال أقوال العلماء فإنني أرى أن(إرم) اسم قبيلة ؛ ولذلك منعت من الصرف للعلمية والتأنيث، ولو جعل علم على مذكر والمراد: سام بن نوح كما ذهب الفراء وهو ممنوع ؛ لأنه كالأعجمي فلا بأس، وإعرابها عطف بيان أو بدل، أو على حذف مضاف.

والله أعلى وأعلم

* * *

المسألة الثانية: إشراك ما هو من عند العبد (القول المعروف) مع ما هو من عند المعبود، سبحانه: (المغفرة) في (الخيرية) في ظاهر قوله ـ تعالى ـ :{قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى} [البقرة:٢٦٣].

اِعْلَمْ أَنَّ المبتدَأَ والخبرَ جملةٌ مفيدةٌ تحصلُ الفائدةُ بمجموعِهِمَا، فالمبتدأُ معتمدُ الفائدةِ، والخبرُ محلُ الفائدةِ، فَلَا بُدَّ مِنْهُمَا، إِلَّا أنه قد توجد قرينةٌ لفظيَّةٌ، أو حاليَّةٌ تغني عن النطق بأحدهما، فيحذف؛ لدلالتها عليه؛ لأنَّ الألفاظَ إنَّما جيء بها؛ للدلالة على المعنى، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ، جاز أن لا تأتي به، ويكون مرادًا حكمًا وتقديرًا(١).

ومع هذا فالأصل في الكلام العربي أن يكون مذكورًا، ولا يصح حذفه، فإن الحذف ضد الأصل، وقد جاء الحذف في أبواب كثيرة ذكرها النحويون(٢)، ومنْ هذه الأبوابِ بابُ المبتدأِ والخبرِ، فكل من المبتدأ والخبر قد يغيب عن الكلام إذا دل عليه معنى الكلام، ومن ذلك قول الله ـ تعالى ـ : {أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا}[سورة الرعد، من الآية:٣٥]، أي: "دائم" ، وكذلك إذا قال لك القائل من عندك؟ قلت :

(١)ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٢٣٨/١.

(٢)ينظر: الخصائص ٣٦٤/٢، واللمع في العربية صـ ٣٠، وشرح المفصل لابن يعيش ٢٣٨/١، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢٠٥/١.

زيد، أي: زيد عندي، فحذفت "عندي"، وهو الخبر، وإذا قال لك: كيف أنت ؟ قلت: صالح، أي: أنا صالح ،فحذفت "أنا" وهو المبتدأ.

نص النحّاس على الإشكال:

قال الإمام أبو جعفر النحاس(١): "في قوله: {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ } ابتداءٌ ، والخبرُ محذوفٌ ، أي: قولٌ معروفٌ أمثلُ وأولى، ويجوز أن يكون {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ } خبر ابتداء محذوف، أي: الذي أُمِرْتُمْ بِهِ قولٌ معروفٌ، {وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى}، وهذا مشكلٌ يبينُهُ الإعرابُ " مغفرةٌ" رفع بالابتداء، والخبر: خيرٌ من صدقة".

فترى في هذا الكلام الذي قاله الإمام أبو جعفر النحاس أن الإعراب هو الذي بيَّن معنى هذه الآية، وأزال إشكالها، وذلك من خلال إعراب "قولٌ" مبتدأ (٢) حذف خبره، والتقدير: قولٌ معروفٌ أولى وأشملُ، أو خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: الذي أمرتم به قولٌ معروف، أو: المأمورُ به قولٌ معروفٌ، وتكون "الواو" في قوله:{ ومغفرة } لم تعطف مغفرة على قول ، بل يعرب مبتدأ، خبره "خير"، فهما جملتان وهو الأولى؛ لأن القول المعروف من العبد عندما لا يجد ما يعطيه السائل، والمغفرة على الصدقة ، أو على القول المعروف من الله.

وممن قال بهذا الإعراب ابن جني(٣)، ومكي بن أبي طالب(٤)، والقرطبي(٥)، ومحمد صديق خان(٦)، وإبراهيم بن إسماعيل الأبياري(٧).

---

(١) إعراب القرآن ٣٣٤/١.

(٢)وجاز الابتداء به؛ لأنه موصوف بكلمة معروف.

(٣)الخصائص ٣٦٤/٢، واللمع في العربية صـ ٣٠.

(٤)ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه٨٨٣/١.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/٣.

(٦)ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن ١١٨/٢.

(٧)ينظر: الموسوعة القرآنية ٥٠/٤.

وأجاز أبو البقاء العكبري ما أجازه أبو جعفر النحاس(١)،من كون "قول معروف" مبتدأ، خبره محذوف، أي: أمثل من غيره، ومغفرة مبتدأ، و"خير" خبره، وزاد إعرابين:

الأول: أن يكون" مبتدأ "، و{ وَمَغْفِرَةٌ} معطوف عليه، والتقدير: وسبب مغفرة ، والتقدير: قول معروف وسببُ مغفرةٍ خيرٌ من صدقة يتبعها أذى؛ لأن المغفرة من الله، فلا تفاضل بينها وبين فعل عبده، وتبعه في ذلك أبو حيان(٢)، والبيضاوي(٣)، ومحيي الدين درويش(٤).

الثاني: أن تكون المغفرة مجاوزة المزكي، واحتماله للفقير فلا يكون فيه حذف مضاف، والخبر خير من صدقة، و{ يتبعها } صفة لصدقة.

والذي عليه النحاس يقويه المعنى ؛ إذ المعنى: أن القول المعروف من المسؤول للسائل، وهو التأنيس والترجية بما عند الله ،والرد الجميل خير من الصدقة التي يتبعها أذى.

والله أعلى وأعلم

* * *

(١)ينظر: التبيان في إعراب القرآن صـ١١٢.

(٢)ينظر: البحر المحيط ٣١٩/٢.

(٣)ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف ٢٩٤/١.

(٤)ينظر: إعراب القرآن وبيانه ٤٠٨/١.

المسألة الثالثة : عطف مستحق العذاب على مستحق الثواب، في ظاهر قوله ـ تعالى ـ :{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ}[سورة الحج: ١٨]

لا يجوزُ إضمار الخبر إلّا إذا كان معلومًا ؛ إذ القاعدة أنّ ما لا يعلم لا يحذف، لأنه نقض للغرض؛ إذ موضوع الكلام لإفهام المخاطب لا للإلباس، والحذف لغير دليل إلباسٌ فلا يصحُّ ان يبني الكلام عليه، ألا ترى أنه إنما يقال: لا رجل، في جواب من قال: هل من رَجُلٍ في الدار؟(١).

نص النحّاس على الإشكال:

قال أبو جعفر النحاس(٢):" قوله:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ} معطوفة على (من) وكذا وَالْقَمَرُ، وَالنُّجُومُ، وَالْجِبالُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، ثم قال ـ جلّ وعزّ ـ : {وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ}، وهذا مشكل من الإعراب، فيقال: كيف لم ينصب؛ ليعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل، مثل :{ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذابًا أَلِيمًا} [الإنسان: ٣١]، فزعم الكسائي والفراء(٣) أنه لو نصب لكان حسنًا، ولكن اِخْتِير الرفع؛ لأنّ المعنى: وكثير أبى السجود، وفي رفعه قول آخر، يكون معطوفا على الأول داخلا في السجود، لأن السجود هاهنا إنّما هو الانقياد لتدبير الله ـ جل وعز ـ من ضعف، وقوّة، وصحّة، وسقم، وحسن، وقبح، وهذا يدخل فيه كل شيء".

---

(١) ينظر: المقاصد الشافية للشاطبي٢/٤٥٠.

(٢) إعراب القرآن ٣/٦٤.

(٣)ينظر: معاني القرآن ٢/٢١٩.

من خلال ما ذكره أبو جعفر النحاس يتبين أن علة رفع كلمة (كثيرٌ) أنها مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: وكثير أبى السجود، ويجوز أيضًا أن يكون مرفوعًا عطفًا على المرفوعات قبلها، وعليه فالواو عاطفة، ويكون معنى السجود الانقياد؛ لأن السجود هاهنا إنّما هو الانقياد لتدبير الله ـ جل وعز ـ من ضعف، وقوّة، وصحّة، وسقم، وحسن، وقبح، وهذا يدخل فيه كل شيء، وقد أعجبه هذا القول؛ حيث قال في كتابه: القطع والائتناف(١):"وهذا قول صحيح بين والذي قاله له التقدم في القرآن والعلم، والسجود في اللغة: الانقياد فكل شيء منقاد لله ـ جل وعز ـ على ما خلقه، وعلى ما رزقه، وعلى ما أصحه، وعلى ما أسقمه، وليس هذا سجود العبادة، وعلى هذا {ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها}.

وقد ذكر الفراء(٢)، ومكي ابن أبي طالب(٣)، أن قوله :{وكثير حق عليه العذاب} مبتدأ محذوف الخبر والتقدير: وكثير أبى السجود، والدليل على ذلك أَنَّ قوله:{حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ} يدلّ عَلَى أَنَّهُ: وكثير أَبَى السّجود؛ لأنه لا يحِقّ عَلَيْهِ العذاب إلا بترك السجود والطاعة، فترفعه بما عاد من ذكره فِي قوله (حَقَّ عَلَيْهِ) فتكون (حَقَّ عَلَيْهِ) بمنزلة أَبَى.

كما يرى جواز النصب، أي: وكثيرًا حق العذاب بمنزلة قوله: {فَرِيقاً هَدى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ}.

ويرى أبو إسحاق الثعلبي(٤)، وتاج القراء(٥) أن قوله: {وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ} .

---

(١) صـ ٤٤٢.

(٢)ينظر: معاني القرآن ٢١٩/٢.

(٣)ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٤٨٦١/٧.

(٤)ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن٧ /١٢.

(٥)ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل ٧٥٤/٢.

الكثيران منفصلان عن الأول، والتقدير، وكثير من الناس، وجب له الثواب، وكثير حق عليه العذاب، فهما مبتدآن وخبران، وخبر الأول محذوف يدل عليه الحال، وقيل: الكثيران عطف على الأول، أي ويسجد كثير من الناس يعني المؤمنين ويسجد كثير حق عليه العذاب، وقيل: الأول عطف على ما قبله، والثاني: استئناف.

وقد ذكر الإمام القرطبي(١) الوجهين اللذين ذكرهما أبو جعفر النحاس وزاد النصب على تقدير: وأهان كثيرا حق عليه العذاب.

واكتفى أبو حيان(٢) بذكر الرفع على العطف.

وقد رد على هذا الإمام ابن جزي الكلبي(٣)، السيوطي(٤) ، وذكر أن الصواب هو الاستئناف، وأن العطف لا يصح؛ حيث قال السيوطي(٥):"(وكثير من الناس) :إنْ جعلنا سجودَ مَنْ في السماوات والأرض بمعنى الانقياد للطاعة فيكون (كثير من الناس) معطوف على ما قبله من الأشياء التي تسجد، ويكون قوله: (وكثير حقَّ عليه العذَاب) ، مستأنف يراد به الانقياد للطاعة، ويوقف على قوله: (وكثير من الناس) ، وهذا القولُ هو الصحيح، وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاءَ الله وتدبيره فلا يصحّ تفصيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد؛ لأنَّ جميعهم يسجد بذلك المعنى، وقيل: إن قوله: (وكثير من الناس) معطوف على ما قبله، ثم عطف عليه (كثير حق عليه العذاب) ، فالجميع على هذا يسجد، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: حقَّ عليه العذاب يقتضي ظاهِرة أنه إنما حقَّ عليه العذاب بتَرْكهِ السجود".

---

(١)ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٤/١٢.

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٤٩٥/٧.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٣٦/٢.

(٤)ينظر: إعجاز القرآن ومعترك الأقران ٣٢٨/٣.

(٥)المرجع السابق.

وذكر البغوي(١) أن (الْوَاو) فِي قَوْلِهِ: وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ، وَاوُ الِاسْتِئْنَافِ.

وأرى بعد عرض هذه الأقوال أن الأرجح إعراب قوله:{وكثيرٌ حق عليه العذاب} مبتدأ، والواو استئناف، والمعنى : وكثير أبى السجود، وهذا ما يرجحه المعنى .

والله أعلى وأعلم

* * *

المسألة الرابعة : خفاء المراد بـ (الجزاء) في ظاهر قوله ـ تعالى ـ : {قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ...}[سورة يوسف: آية ٧٥]

اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما، فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبر محل الفائدة، فلا بد منهما، إلا انه قد توجد قرينة لفظية، أو حالية تغني عن النطق بأحدهما، فيحذف لدلالتها عليه، لأن الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ، جاز أن لا تأتي به، ويكون مرادا حكما وتقديرا، وقد جاء ذلك مجيئا صالحا، فحذفوا المبتدأ مرة، والخبر أخرى(٢).

نص النحاس على الإشكال:

قال أبو جعفر النحاس(٣):{ قالُوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ} وهذا مشكل من النحو، وفيه ثلاثة أقوال: منها أن يكون (جزاؤه) مبتدأ، وخبره محذوفا، والتقدير: جزاؤه عندنا كجزائه عندكم أن يستعبد من يسرق، ويقال: إن هذا الحكم كان في شريعة يعقوب ـ عليه السلام ـ ، وكان هذا في أول الإسلام

(١)ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن٣/٣٢٨.

(٢) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ١/٢٤٠.

(٣) إعراب القرآن ٢/٢٠٩.

حتى نسخه الله ـ جلّ وعزّ ـ بالقطع، والقول الثاني: أن يكون (جزاؤه) مبتدأ، و (من وجد) مبتدأ ثانيا، (فهو جزاؤه) خبر الثاني والجملة خبر الأول، و(من) شرط، وإن شئت بمعنى الذي، والذي يعود على المبتدأ الأول جزاؤه الثاني، والتقدير (فهو) هو ثم أظهر الضمير ...؛ لأنه لو أضمر فيها لأشكل المعنى فكان الإظهار أحسن لهذا، والقول الثالث: أن يكون «جزاؤه» مبتدأ و «من وجد في رحله» كناية عن رحله وخبره، والتقدير: جزاؤه استعباد من وجد في رحله فهو كناية عن الاستعباد، وهي في الجملة معنى التوكيد، كما تقول: جزاء من سرق القطع فهو جزاؤه".

من خلال ما قاله الإمام أبو جعفر يتضح أن كلمة { جزاؤه}الأولى مبتدأ وفي الخبر ثلاثة أوجه إعرابية:

الوجه الأول : أن يكون (جزاؤه) مبتدأ، وخبره محذوفًا، والتقدير: جزاؤه عندنا كجزائه عندكم أن يستعبد من يسرق.

والوجه الثاني: أن يكون (جزاؤه) مبتدأ، و (من وجد) مبتدأ ثانيًا، (فهو جزاؤه) خبر الثاني والجملة خبر الأول .

الوجه الثالث: أن يكون (جزاؤه) مبتدأ و (من وجد في رحله) كناية عن رحله وخبره، والتقدير: جزاؤه استعباد من وجد في رحله فهو كناية عن الاستعباد، وهي في الجملة معنى التوكيد، كما تقول: جزاء من سرق القطع فهو جزاؤه.

وقد ذكر الزجاج فيه وجهين(١):

أحدهما: أن هو جزاؤه ابتداء، ويكون من وجد في رحله الخبر، ويكون المعنى جزاء السَّرق الإنسانُ الموجود في رحله السَّرَقُ، ويكون قوله (فَهُوَ جَزَاؤُهُ) زيادةً في الإبانة، كما تقول: جزاء السارق القطع فهو جزاؤه. فهذا جزاؤه، زيادةٌ في الإبانة.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/١٢١.

الثاني: يجوز أن يكون يرتفع بالابتداء، ويكون (مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ)هذه الجملة خبر الجزاء، والعائد عليه من الجملة " جَزَاؤُهُ " الذي بعد قوله: " فهو" كأنَّه قيل: قالوا: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو، أيْ: فهو الجزاء، ولكن الإظهار كان أحسن ههنا؛ لئلا يقع في الكلام لبس؛ ولئلا يتوهم أن (هو) إذا عادت ثانية فليست براجعة على الجزاء.

ويرى علي بن فَضَّال(١) أنه يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون المعنى: جزاؤه استرقاق من وجد في رحله، فهذا الجزاء جزاؤه، كما تقول: جزاء السارق القطع.

والثاني: أن يكون المعنى: جزاؤه من وجد في رحله فالسارق جزاؤه، فيكون مبتدأ ثانيًا، والفاء جواب الجزاء، والجملة خبر {مَنْ} .

ويجوز في {مَنْ} وجهان:

أحدهما: أن يكون خبرًا بمعنى (الذي) ، كأنه قال: جزاؤه الذي وجد في رحله مسترقًا، وينصب (مسترقا) على الحال.

والثاني: أن يكون شرطًا، كأنه قال: جزاء السرق إن وجد في رحل رجلٍ منا فالموجود في رحله جزاؤه استرقاقًا.

ويرى مكي بن أبي طالب(٢)، والعكبري(٣)فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه مبتدأ، والخبر محذوف ; تقديره: جزاؤه عندنا كجزائه عندكم، والهاء تعود على السارق، أو على السرق. وفي الكلام المتقدم دليل عليهما ; فعلى هذا يكون قوله: (من وجد) : مبتدأ، و «فهو» مبتدأ ثان، و (جزاؤه) خبر المبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر الأول.

---

(١) ينظر: النكت في القرآن الكريم ٢٦٦/١.

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٣٨٩/١ .

(٣)ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٧٣٨/٢.

و (من) شرطية، والفاء جوابها.

ويجوز أن تكون بمعنى الذي، ودخلت الفاء في خبرها لما فيها من الإبهام، والتقدير: استعباد من وجد في رحله فهو – أي الاستعباد – جزاء السارق.

ويجوز أن تكون الهاء في جزائه للسرق.

والوجه الثاني: أن يكون «جزاؤه» مبتدأ، و «من وجد» خبره، والتقدير: استعباد من وجد في رحله، و «فهو جزاؤه» مبتدأ وخبر مؤكد لمعنى الأول.

والوجه الثالث: أن يكون جزاؤه مبتدأ، ومن وجد: مبتدأ ثان، و «فهو» مبتدأ ثالث، و «جزاؤه» خبر الثالث، والعائد على المبتدأ الأول الهاء الأخيرة، وعلى الثاني هو.

وجوز فيه الزمخشري(١) وجهين:

الأول: أن يكون جَزاؤُهُ مبتدأ، والجملة الشرطية كما هي خبره، على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر. والأصل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو، فوضع الجزاء موضع هو، كما تقول لصاحبك: من أخو زيد؟ فيقول لك: أخوه من يقعد إلى جنبه، فهو هو، يرجع الضمير الأوّل إلى من، والثاني إلى الأخ، ثم تقول «فهو أخوه» مقيما للمظهر مقام المضمر.

الثاني: أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف، أي: المسئول عنه جزاؤه، ثم أفتوا بقولهم: من وجد في رحله فهو جزاؤه.

ويرى القرطبي(٢)، والثعالبي(٣) أن {جَزَاؤُهُ} مبتدأ ، و(من وجد في رحله) خبره ؛ والتقدير : جزاؤه استعباد من وجد في رحله ؛ فهو كناية عن الاستعباد ؛ وفي الجملة معنى التوكيد ، كما تقول : جزاء من سرق القطع فهذا جزاؤه.

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢/٤٩١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٣٤.

(٣) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٣/٣٤١.

وذكر فيها ابن عادل(١)أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون «جَزاؤهُ» مبتدأ، والضمير للسَّارق، و «مَنْ» شرطيَّة أو موصولة مبتدأ ثاني، والفاء جواب الشَّرط، أو مزيدة في خبر الموصول لشبهه بالشَّرطِ و «مَنْ» وما في حيزها على وجهيها خبر المبتدأ الأوَّلِ.

الوجه الثاني: أن يكون: «جَزَاؤهُ» مبتدأ، والهاء تعود على المسروق، و {مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ} خبره، و «مَنْ» بمعنى الذي، والتقدير: جزاء الصّواع الذي وجد في رحله.

الوجه الثالث: أن يكون:» جَزاؤهُ «خبر مبتدأ محذوف أي: المسئول عنه جزاؤه، ثمَّ أفتوا بقولهم: {مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ}

الوجه الرابع: أن يكون» جَزَاؤهُ «مبتدأ، وخبره محذوف، تقديره: جزاؤه عندنا كجزائه عندكم، والهاء تعود على السَّارق، أو على المسروق.

ويرى الزركشي(٢)أنه يجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ، والجملة الشرطية كما هي خبره على إقامة الظاهر مقام المضمر، والأصل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو ، فوضع الجزاء موضع هو.

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١١/١٦٦.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/٣٦٨.

والراجح من هذه الوجوه أَن يَكُون جزاؤه مُبْتَدَأ، أَي: جَزَاءُ سَرِقَةِ الصَّاعِ، وَالْخَبَر: مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ أَيْ: أُخِذَ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ. وقولهم: فهو جزاؤه، تَقْرِيرٌ لِحُكم أَي: فأخذ السَّارِقِ نَفسِهِ هُوَ جزاؤه لَا غير كقولك: حَقُّ زيد أَن يُكسَى وَيطعم وَيُنْعَمَ عَلَيْهِ فَذَلِكَ جَزَاؤُهُ، أو فهو حَقُّهُ، وهذا الوَجهُ هو أحسن الْوُجُوهِ، وَأَبْعَدها مِنَ التَّكَلُّفِ(١).

والله أعلى وأعلم

* * *

المسألة الخامسة: نفي الفعل في : (ما نظنَّ) ثم إثباته بذكر مصدره المؤكد له في : (إلا ظنًّا) في ظاهر قوله ـ تعالى ـ :{قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا} [سورة الجاثية: آية ٣٢].

اعلم أن المستثنى بـ (إلا) له حالان: أحدهما أن يفرغ له العامل، والآخر أن يشغل العامل بغيره، ويسمى الأول التفريغ، والثاني التمام.

وحكمه، في التفريغ، كحكمه لو لم يوجد إلا، كقولك: ما قام إلا زيد. فزيد فاعل قام كقولك: ما قام زيد، ولا أثر (إلا) في ذلك، ولا يكون التفريغ إلا بعد نفي، أو شبهه، ويكون في جميع المعمولات، إلا المصدر المؤكد(٢).

نص النحاس على الإشكال:

قال أبو جعفر النحاس(٣):" قوله: {قُلْتُمْ ما نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا} وهذا من مشكل الإعراب وغامضه؛ لأنه لا يقال: ما ضربت إلّا ضربا، وما ظننت إلّا ظنّا؛ لأنه لا فائدة فيه أن يقع بعد حرف الإيجاب؛ لأنّ معنى المصدر كمعنى الفعل، فالجواب عن الآية عن محمد بن يزيد على معنيين: أحدهما: أن

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٦/٣٠٤.

(٢) ينظر: الجنى الداني صـ ٨٧.

(٣) إعراب القرآن ٤/١٠٢.

يكون في الكلام تقديم وتأخير، أي: إن نحن إلّا نظنّ ظنّا، وزعم أنّ نظيره من كلام العرب حكاه أبو عمرو بن العلاء، وسيبويه : ليس الطّيب إلّا المسك، أي: ليس إلّا الطّيب المسك، والجواب الآخر أن يكون التقدير: إن نظنّ إلّا أنّكم تظنّون ظنّا".

ففي هذا الكلام الذي قاله أبو جعفر النحاس يتبين أن الإشكال في وقوع المصدر المؤكد بعد الفعل؛ لِأَن الْمصدر فَائِدَته كفائدة الْفِعْل فَلَو جرى الْكَلَام على غير حذف؛ لصار تَقْدِيره: إن نظن إِلَّا نظن، وَهَذَا كَلَام نَاقص، وَلم يجز النحويون مَا ضربت إِلَّا ضربا؛ لِأَن مَعْنَاهُ: مَا ضربت إِلَّا ضربت، وَهَذَا كَلَام لَا فَائِدَة فِيهِ، وأن زوال الإشكال أن نقول : إن نَحن إلا نظن ظنا، وإنما أوَّله لأنه لا يصح التفريع في المصدر المؤكد، لعدم حصول الفائدة، وَقيل: الْمَعْنى: إِن نظن إِلَّا أَنكُمْ تظنون ظنا، وتبعه في ذلك مكي بن أبي طالب(١).

ورد التأويل الثاني من حيث إنه حذف أن واسمها وخبرها وأبقى المصدر، وهذا لا يجوز(٢).

ويرى ابن سيده(٣)، وأبو حيان(٤)، أن تأويل هذه الآية على وجهين حتى يزول إشكالها:

الأول: على حذف صفة المصدر حتى يصير مختصًا؛ لأن المصدر المؤكد للفعل بمنزلة الفعل فلا يجوز أن أقول: ما ضربت إلا ضربًا، لأن المصدر إذا وقع بعد فعله مستثنى لم تكن فيه فائدة إلّا أن يكون موصوفا؛ ولذلك قدرنا صفة محذوفة حتى يصح المعنى، والتقدير: إن نظن إلا ظنًا ضعيفًا.

---

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٦٦٣/٢.

(٢) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٦٥٦/٩.

(٣)إعراب القرآن ٤٤/٨.

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٤٢٩/٦.

الثاني: على تضمين نظن معنى نعتقد، ويكون ظناً مفعولًا به.

قال أبو حيان(١):" {إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا}، تَقُولُ: ضَرَبْتُ ضَرْبًا، فَإِنْ نَفَيْتَ، لَمْ تُدْخِلْ إِلَّا، إِذْ لَا يُفَرَّغُ بِالْمَصْدَرِ الْمُؤَكِّدِ، فَلَا تَقُولُ: مَا ضَرَبْتُ إِلَّا ضَرْبًا، وَلَا مَا قُمْتُ إِلَّا قِيَامًا، فأما الآية، فتأول عَلَى حَذْفِ وَصْفِ الْمَصْدَرِ حَتَّى يَصِيرَ مُخْتَصًّا لَا مُؤَكِّدًا، وَتَقْدِيرُهُ: إِلَّا ظَنًّا ضَعِيفًا، أَوْ عَلَى تَضْمِينِ نَظُنُّ مَعْنَى نَعْتَقِدُ، وَيَكُونُ ظَنًّا مَفْعُولًا بِهِ.

ويرى العكبري(٢) أن (إلا) مؤخرة، والتقدير: إن نحن إلا نظن ظنا، ولولا هذا التقدير: لكان المعنى: ما نظن إلا نظن، أو هي في موضعها؛ لأن نظن قد تكون بمعنى العلم والشك؛ فاستثنى الشك؛ أي: ما لنا اعتقاد إلا الشك.

وقد ذكر السيوطي(٣) أن تأويلها على حذف الصفة، والتقدير:{إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا} أَيْ: ظَنًّا حَقِيرًا لَا يُعْبَأُ بِهِ، وَإِلَّا لَاتَّبَعُوهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ دَيْدَنُهُمْ، بِدَلِيلِ: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ}[النَّجْمِ: ٢٣].

ويرى الباحث أن هذه التأويلات التي ذكرت في هذه الآية كلها مقبولة فيجوز أن يكون التَقْدِير: إِنْ نحن إلا نظن ظنًّا، كما يجوز أن يكون: التقدير: إن نظن إلا أنكم تظنون ظنًّا، أو أن (نَظُنُّ) مضمَّنٌ معنَى نَعتَقد، أَيْ: مَا نَعتَقِدُ إِلَّا ظَنًّا لَا عِلمًا، أو إِنَّ «ظَنًّا» لَهُ صِفَةٌ مُقَدَّرَةٌ، أَيْ: إِلَّا ظَنًّا بَيِّنًا.

والله أعلى وأعلم

* * *

(١)المرجع السابق.

(٢)ينظر: التبيان في إعراب القرآن٢/١١٥٣.

(٣)ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٢/٢٥٢، وإعجاز القرآن ومعترك الأقران ٢/٤٧٣.

المسألة السادسة: اختلاف زمن الحال(مختلفًا) عن زمن الحدث :(أنشأ)، في ظاهر قوله . تعالى . :{ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ}[سورة الأنعام: آية ١٤١].

الْحَالُ: وَهُوَ وَصْفٌ فَضْلَةٌ مَسُوقٌ؛ لِبَيَانِ هَيْئَةِ صَاحِبِهِ، أَوْ تَأكيدِهِ، أَوْ تأكِيدِ عَامِلِهِ، أَوْ مَضْمُون الْجُملَةِ قَبْلَهُ، نحْوُ: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا}[سورة القصص:٢١]، { لآمَنَ مَنْ في الأرْضِ كُلُّهمْ جَمِيعا}[سورة يونس: ٩٩]، { فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا}[سورة النمل:١٩]، {وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاس رَسُولًا}[سورة النساء:٧٩](١).

والحَال تكون مُقَارنَة، ومنتظرة، وَتسَمى (حَالا) مقدرَة، فَالْأولى (ظَاهِرَة) ، وَالثَّانيَة نَحْو {فادخلوها خَالِدين} فَإِن الخلود لَيْسَ شَيْئا يقارن الدُّخُول، وَإِنَّمَا هُوَ اسْتِمْرَار فِي الْمُسْتَقْبل، (وَيقدر) النحويون ذَلِك ادخلوها مقدرين الخلود، وَكَذَلِكَ (لتدخلن الْمَسْجِد الْحَرَام إِن شَاءَ الله (آمِنين) مُحَلِّقِينَ رؤوسكم وَمُقَصِّرِينَ، أَي مقدرين فَإِنَّهُم فِي حَال الدُّخُول لَا يكونُونَ مُحَلِّقِينَ وَمُقَصِّرِينَ، إِنَّمَا هم مقدرون الْحلق وَالتَّقْصِير(٢).

نص النحاس على الإشكال:

قال الإمام أبو جعفر النحاس(٣):"{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ} في موضع نصب، وكسرت التاء؛ لأنه جمع مسلّم، مَعْرُوشاتٍ: نعت، أي: عليها حيطان، وقيل: لأن بعض أغصانها على بعض، وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ عطف، مُخْتَلِفًا على الحال، قال أبو إسحاق(٤): هذه مسألة مشكلة من النحو؛ لأنه يقال: قد أنشأها ولم يختلف

---

(١)ينظر: شرح شذور الذهب لابن هشام صـ٣٢٦.

(٢)ينظر: اعتراض الشرط على الشرط لابن هشام صـ٤٦.

(٣) إعراب القرآن **٣٥/٢**.

(٤)المراد: الزجاج، ينظر: **معاني القرآن وإعرابه ٢٩٦/٢**.

أكلها وهو ثمرها، ففي هذا جوابان: أحدهما أنه أنشأها بقوله:{خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: ١٠٢] فأعلم الله ـ عزّ وجلّ ـ أنه أنشأها مختلفا أكلها، والجواب الآخر أنه أنشأها مقدّرا ذلك فيها، وقد بيّن هذا سيبويه(١) بقوله: مررت برجل معه صقر صائدًا به غدًا، على الحال كما تقول: ليدخلنّ الدار آكلين شاربين، أي مقدّرين ذلك".

ذكر الإمام أبو جعفر النحاس الإشكال في هذه الآية وهو قوله:{مختلفًا ألوانه} وهو كيف يكون النخل والزرع مختلفًا ألوانه وثماره عند الإنشاء ، وأجاب عن ذلك بأن كلمة{ مختلفًا} تعرب حالًا مقدرةً ، لأنها حين الإنشاء لا ثمرة فيها فهي حال مقدرة تجيء بعد الإنشاء، مثلها كما تقول : أؤدي الامتحان ناجحًا ، أي: مقدرًا النجاح، كَمَا تَقُولُ: لَتَدْخُلُنَّ الدَّارَ آكِلِينَ شَارِبِينَ: أَيْ مُقَدِّرِينَ ذَلِكَ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَالُ الْمُقَدَّرَةُ الْمَشْهُورَةُ عِنْدَ النُّحَاةِ الْمُدَوَّنَةُ فِي كُتُبِ النَّحْوِ، أو أن الله ـ عز وجل ـ أعلمهم أنه أنشأها مختلفًا أكلها، وقد سبقه إلى ذلك أبو إسحاق الزجاج(٢)، وتبعهما فخر الدين الرازي(٣)، قال الزجاج(٤):"{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ} أي: ابتدع جنَاتٍ مَعْرُوشاتٍ، والْجَنَاتُ الْبَسَاتِينُ، {وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ}،ومعنى المعروشات ههنا: الكروم، { وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ} في حال اختلاف أَكْلِهِ، وهذه مسألة شديدة في النحو إلا على من عرف حقيقتها، لأن للقائل أن يقول كيف أنشأهُ في حَال اختلاف أكله، وهو قد نشأ من قبلِ وقُوعِ أَكْلِهِ، وأَكْلُه ثمره؟ فالجواب في ذلك أنه ـ عزْ وجلَّ ـ قدَّرَ إنشَاءَه، بقوله: {هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}،

---

(١)حيث قال:" واعلم أنك إذا نصبتَ في هذا الباب فقلت: مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا، فالنصبُ على حاله، لأن هذا ليس بابتداء" الكتاب٢/٥٢.

(٢)ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٩٦.

(٣)ينظر: مفاتيح الغيب١٣/١٦٢.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٩٦.

فأعلم ـ عزَّ وجلَّ ـ إنَّه المنشئ له في حال اخْتلافِ أكلِهِ، ويجوز أنشأه ولا أكل فيه مختلفاً أكْلُه؛ لأن المعنى: مُقَدّرًا ذلك فيه، كما تقول.: لتدخُلُنَّ منزل زيد آكلين شاربين، المعنى تدخلون مُقَدّرِينَ ذلك، وسيبويه دل على ذلك وبيَّنه في قوله: مررت برجل معه صقر صائدًا به غدًا، فنصب (صائدًا) على الحال، والمعنى مُقَدّرًا الصيد".

وقد ذكر مكي بن أبي طالب(١)، والزمخشري(٢)، وابن عطية(٣)، والبيضاوي(٤)، والنسفي(٥)، وأبو السعود(٦)، فيها وجها واحدًا، وهو أنها حال مقدرة، قال الزمخشري(٧): "ومختلفًا: حال مقدّرة؛ لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك، كقوله ـ تعالى ـ : {فَادْخُلُوها خالِدِينَ}[الزمر:٧٣].

ويرى العكبري(٨)، وأبو حيان(٩)، وابن عادل(١٠)،أن {مختلفًا} يجوز أن تكون حال مقدرة؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ الْإِنْشَاءِ مُخْتَلِفًا، ويجوز أن تكون حَالًا مُقَارِنَةً؛ وَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ حَذْفِ مُضَافٍ قَبْلَهُ، تَقْدِيرُهُ: وَثَمَرُ النَّخْلِ، وَحَبُّ الزَّرْعِ.

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية٣/٢٢٠٨.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل٢/٧٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/٣٥٣.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/١٨٥.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٣/١٩١.

(٦) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل١/٥٤٢.

(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢/٧٢.

(٨)ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/٥٣٤.

(٩)ينظر: البحر المحيط في التفسير ٤/٦٦٦.

(١٠) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٨/٤٦٦ .

وبهذه التقديرات التي ذكرها العلماء . رحمهم الله . يزول إشكال هذه الآية والله أعلم ، وإن كنت أرى أن نصبها على الحال المقدرة أولى ؛ لأنه ليس فيه حذف، والحال المقدرة في لسان العرب كثيرة.

والله أعلى وأعلم

* * *

المسألة السابعة: إسناد الفعل :(منع) إلى ما لا يُتصور حدوثه منه:(أن كذب بها الأولون) في ظاهر قوله . تعالى . :{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ}[سورة الإسراء، آية: ٥٩]

من الأبواب المقررة في العربية باب الحذف، فيجوز حذف المفعول لغرض إما لفظي، كتناسب الفواصل" جمع فاصلة، والمراد بها رءوس الآي، وذلك "في نحو: {إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى} [طه:.٣] والأصل: يخشاه؛ أي: القرآن؛ ويحتمل أن لا حذف، ومفعول "يخشى" هو قوله تعالى: {تَنْزِيلًا} [طه: ٤]، والمعنى: لمن يخشى تنزيل الله.

"وكالإيجاز" والاختصار، وذلك "في نحو: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا" وَلَنْ تَفْعَلُوا} [البقرة: ٢٤] ، والأصل: فإن لم تفعلوه، ولن تفعلوه، أي: الإتيان بسورة من مثله.

"وإما معنوي كاحتقاره نحو: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ} [المجادلة: ٢١] أي: الكافرين"، فحذف المفعول لاحتقاره. "أو لاستهجانه" أي: لاستقباح التصريح بذكره، "كقول عائشة . رضي الله عنها . : ما رأى مني ولا رأيت منه"(١) تعني عورة رسول الله . صلى الله عليه وسلم .، فحذفت المفعول لاستقباح ذكره، "أي: العورة، وقد يمتنع حذفه" أي: المفعول "كأن يكون محصورًا" فيه "نحو: "إنما

(١) جاء في معجم ابن المقرئ ٢٩٦/١، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ عَوْرَةَ رَسُولِ اللهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَطُّ» وعلى هذه الرواية لا يوجد حذف.

ضربت زيدًا"؛ لأن الحذف ينافي الحصر، "أو" يكون "جوابًا" لسؤال "كـ: "ضربت زيدًا" جوابًا لمن قال: من ضربت؟ "؛ لأن المطلوب تعيينه لا يجوز حذفه(١).

نص النحّاس على الإشكال:

قال أبو جعفر النحاس(٢):"{وَما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} (أن) الثانية في موضع رفع بالمنع، والأولى في موضع نصب به، وهذه آية مشكلة... {وَآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً}، قال أبو جعفر: التقدير في العربية: وما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحوها إلّا أن كذّب بمثلها الأولون فأهلكوا، واستؤصلوا فجعل الله ـ جلّ وعزّ ـ ما فيه من الصلاح لهم، فإن قال قائل: فقد أعطي الأولون مثل هذا ولم يؤمنوا فما الفرق؟ فالجواب أنّ الفرق بينهم علم الله ـ جلّ وعزّ ـ بأنّ من هؤلاء من يؤمن، ومن هؤلاء ومن أولادهم من يؤمن، وأنّ أولئك لا يؤمنون ولا يولد لهم من يؤمن، {وَآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ} مفعولان، ولم ينصرف ثمود؛ لأنه جعله اسما للقبيلة، ويجوز صرفه بجعله اسما للحيّ".

فأبو جعفر يبين في هذا الكلام أن(أن) الأولى التي مع منعنا، في موضع نصب بوقوع منعنا عليها، و(أن) الثانية في محل رفع؛ لأن معنى الكلام: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيبُ الأولين من الأمم.

والذي ذهب إليه أبو جعفر سبقه إليه الطبري(٣)، والزجاج(٤)، وتبعهم أبو إسحاق الثعلبي(٥)، وتاج القراء(٦)، والزمخشري(٧)، وبيان الحق(٨)،

---

(١) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١٦٥/٢، والتصريح بمضمون التوضيح٤٧٢/١.

(٢) إعراب القرآن ٢٧٦/٢.

(٣) ينظر: جامع البيان ٦٣٧/٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٤٧/٣.

(٥) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٠٨/٦.

(٦) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل ٦٣١/١.

(٧) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٦٧٤/٢.

(٨) ينظر: باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن ٨٢٩/٢.

والقرطبي(١)،والسيوطي(٢)، قال الزمخشري(٣):" استعير المنع لترك إرسال الآيات من أجل صارف الحكمة، و «أن» الأولى منصوبة، والثانية مرفوعة، تقديره: وما منعنا إرسالَ الآياتِ إلا تكذيبُ الأولين، والمراد: الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا، ومن إحياء الموتى وغير ذلك: وعادة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال، فالمعنى: وما صرفنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كـ عاد، وثمود، وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك، وقالوا: هذا سحر مبين، كما يقولون في غيرها، واستوجبوا العذاب المستأصل، وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة"، ثم ذكر من تلك الآيات– التي اقترحها الأولون، ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة: وهي ناقة صالح، لأن آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم ".

ويرى العكبري(٤)، وابن عادل(٥)،أنَّ (أنْ) الأولى في موضع نصب، أو جر، والتقدير: وما منعنا من أن نرسل، وأيضا يرى العكبري أن قوله: {وَما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} على حذف مضاف، تقديره: إلا إهلاك التكذيب، قال العكبري(٦):" قوله ـ تعالى ـ : (أن نرسل) : أي من أن نرسل، فهي في موضع نصب، أو جر على الخلاف بين الخليل وسيبويه، وقد ذكرت نظائره، (أن كذب) : في موضع رفع فاعل «منعنا» وفيه حذف مضاف، تقديره: إلا إهلاك التكذيب، وكانت عادة الله إهلاك من كذب بالآيات الظاهرة، ولم يرد إهلاك مشركي قريش لعلمه بإيمان بعضهم وإيمان من يولد منهم".

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٨١.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن ومعترك الأقران ٢/٣٦١.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢/٦٧٤.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن٢/٨٢٥.

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٢/٣١٧.

(٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/٨٢٥.

ورد عليه : بأنه لا حاجة إلى ذلك ؛ لاستقلالِ المعنى بدونه، أي : بدون تقدير مضاف(١).

وعليه فقد زال إشكال هذه الآية، ويكون المعنى: وما منَعَنا إرسالَ الآياتِ التي سألوها إلا تكذيبُ الأوّلين، يعني أن هؤلاء سألوا الآيات التي استوجب بتكذيبها الأولونَ العذابَ، فلم يرسلها؛ لئلا يكذِّب بها هؤلاء، فيهلكوا كما هلك أولئك، وسنَّة الله في الأمم أنهم إذا سألوا الآيات ثم كذَّبوا بها عذَّبهم، ومن هنا تبين دور الإعراب في إظهار وإزالة الإشكال والغموض في ظاهر الآية.

والله أعلى وأعلم

* * *

المسألة الثامنة: إشراك العبيد (الراسخون في العلم)مع المعبود ـ سبحانه ـ في علمه، في ظاهر قوله ـ تعالى ـ : {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}[سورة آل عمران:٧].

من حروفِ العطفِ "الْوَاوُ" ولها معانٍ ، منها : العاطفة ، ومعناها : إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول ، وليس فيها دليل على أيهما كان أولًا ، نحو : جاء زيدٌ وعمرٌو، ولقيت بكرًا وخالدًا، ومررت بالكوفةِ والبصرةِ، فجائز أن تكون البصرة أولًا، وجائز أن تكون الكوفةُ أولًا، قال الله ـ عز وجل ـ{يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} (٢)، والركوع قبل السجود(٣) ، قال الخليل (٤): "وكل "وَاو "تعطف بهَا آخر الِاسْم على الأول ، أو آخر الْفِعْل على الأول ، أَو آخر الظّرْف على الأول ، فَهِيَ "وَاو" الْعَطف ، مثل قَوْلك : كلمتُ زيدًا ومحمدًا ، وَرَأَيْت عمرا وبكرًا ، نصبت "زيدًا" بإيقاع الْفِعْل عَلَيْهِ ، ونصبت "مُحَمَّدًا " ؛ لِأَنَّك نسقته بِـ "الْوَاو" على "زيد" وَهُوَ مفعول بِهِ ".

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٣١٧/١٢.

(٢) سورة آل عمران ، من الآية : ٤٣ .

(٣) ينظر : المقتضب ١٠/١ ، والأصول ٥٥/٢، والجنى الداني صـ١٦٢ .

(٤) ينظر : الجمل صـ٣٠٣ .

ومنها : واو الاستئناف، ويقال: واو الابتداء ، وهي الواو التي يكون بعدها جملةٌ غيرُ متعلقةٍ بما قبلها، لا في المعنى، ولا في الإعراب ،فهي المنقطعة عن العطف ؛لأنّ ما بعدها مبدوء به مستقلّ بنفسه ، لا تعلّق له بما قبله ، ويكون بعدها الجملتان: الاسمية والفعلية، فمن أمثلة الاسمية ، قوله { ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ} (١)،من أمثلة الفعلية ، قوله:{لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى } (٢) برفع الفعل "نقر" على أن "الواو" للاستئناف(٣).

نص النحاس على الإشكال:

قال أبو جعفر النحاس(٤):"{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ(٥)} عطف على الله . عز وجل . هذا أحسن ما قيل فيه؛ لأن الله . عز وجل . مدحهم بالرسوخ في العلم ، فكيف يمدحهم وهم جهالٌ؟ قال أبو جعفر: وقد ذكرنا أكثر

---

(١) سورة الأنعام ، من الآية : ٢.

(٢) سورة الحج ، من الآية : ٥ .

(٣) ينظر : الكناش في فني النحو والصرف لابن شاهنشاه ٢ /١٤٥، والفصول المفيدة في الواو المزيدة للعلائي صـ١٥٥،ومغني اللبيب صـ ٤٧٠ ، وموصل الطلاب صـ١٤٣.

(٤)إعراب القرآن ١/٣٥٥. ٣٥٧.

(٥)(رَسَخ) الشَّيْءُ يَرسَخ (رُسُوخًا) : (ثَبَتَ) فِي مَوْضِعه، والرَّاسِخ فِي العِلْم: الّذي دَخَلَ فِيهِ دُخُولاً ثَابتا. وجبَلٌ راسخٌ، ودِمْنةٌ راسِخةٌ. وكلُّ ثَابتٍ راسِخٌ، وَمِنْه.{الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}(آل عمرَان:٧) وَهُوَ مَجاز، وَقيل: هم المُدارِسون فِي كِتَاب الله. وَقَالَ ابْن الأَعرابيّ: هم الحُفّاظ المُذاكرُون، وقِيلَ: الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ: كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَّامٍ وَأَصْحَابِهِ، بِدَلِيلِ لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ، يَعْنَي: الرَّاسِخِينَ فِي عِلْمِ التَّوْرَاةِ، وَهَذَا فِيهِ بُعْدٌ، وَقَدْ فُسِّرَ الرُّسُوخُ فِي الْعِلْمِ بِمَا لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ اللُّغَةُ، وَإِنَّمَا هِيَ أَشْيَاءُ نَشَأَتْ عَنِ الرُّسُوخِ فِي الْعِلْمِ، كَقَوْلِ نَافِعٍ: الرَّاسِخُ الْمُتَوَاضِعُ لِلَّهِ، وَكَقَوْلِ مَالِكٍ: الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ الْعَامِلُ بِمَا يَعْلَمُ، الْمُتَّبِعُ.
ينظر: البحر المحيط في التفسير ٢٨/٣، وتاج العروس[ر س خ] ٢٥٧/٧.

من هذا الاحتجاج(١)، فأما القراءة المروية عن ابن عباس:{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} فمخالفة لمصحفنا، وإن صحت فليس فيها حجة لمن قال: الراسخون في العلم، ويقول الراسخون في العلم آمنا بالله، فأظهر ضمير الراسخين ؛ ليبين المعنى، كما أنشد سيبويه(٢):

لَا أَرَى المَوتَ يَسْبِقُ الموتَ شَيْءٌ نَغَّصَ الموتُ ذَا الغِنَى وَالْفَقِيرَا(٣)

فإن قال قائل : قد أشكل على الراسخين في العلم بعض تفسيره، حتى قال ابن عباس: لا أدري "ما الأوَّاه(٤)، وما الغسلين(٥) فهذا لا يلزم؛ لأن ابن عباس ـ رحمه الله ـ قد علم بعد ذلك وفسر ما وقف عنه، وجواب أقطع من هذا إنما قال الله ـ عز وجل ـ :{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}، ولم يقل ـ جل وعز ـ : وكل راسخ فيجيب هذا، فإن لم يعلمه أحدهم علمه الآخر ".

ولم تتفق كلمة العلماء من أهل التفسير واللغة في نوع (الواو) في قوله ـ تعالى ـ :{ الراسخون في العلم} ، بل اختلفوا على مذهبين:

---

(١)ينظر: معاني ابن النحاس ورقة ٣٦.

(٢)ينظر: الكتاب ٦٢/١.

(٣)البيت من الخفيف، وهو لعدي بن زيد في ديوانه ص ٦٥.

اللغة: (نَغَّصَ) اللَّهُ عَلَيْهِ الْعَيْشَ (تَنْغِيصًا) أَيْ كَدَّرَهُ.

المعنى: لا أرى أشد من الموت في تنغيص حياة الإنسان.

الشاهد: تكرار الظاهر دون ضميره فأَظْهَرَ المَوْتَ فِي مَوْضِعِ الإِضْمَارِ، وهذَا كقَوْلِكَ: أَمَّا زَيْدٌ فقد ذَهَبَ زيْدٌ.

والبيت في: الكتاب ٨٧/١، والخصائص ٥٥/٣، والصحاح [ن غ ص] ١٠٥٩/٣، ومختار الصحاح ٣١٥/١.

(٤) المراد قوله: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ }[سورة التوبة، من الآية:١١٤ .

(٥)المراد قوله:{وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ}[سورة الحاقة :٣٦.

المذهب الأول: ذهب أصحابه إلى أن تمام الكلام قوله:{ وما يعلم تأويله إلا الله}، ثم البدء بقوله:{ والراسخون في العلم يقولون آمنا به}، فـ (الواو) عندهم حرف ابتداء، فهي بداية كلام جديد؛ لأن علم تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله، فالراسخون لا يعلمون تأويله، وإنما يؤمنون بالمحكم والمتشابه؛ لأنهما من عند الله، فهم لا يعلمون ذلك، ولكن فَضْل عِلمهم في ذلك على غيرهم، العلمُ بأن الله هو العالم بذلك دونَ منْ سواه من خلقه، وعلى هذا القول فإن إعراب {وَالرَّاسِخُونَ}، يَكُونَ مُبْتَدَأً، وَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ: يَقُولُونَ، خَبَرًا عَنْهُ، وَيَكُونُ مِنْ عَطْفِ الْجُمَلِ، والواو عاطفة(١)، رجح هذا القولَ الفراءُ(٢)، و الطبري(٣)،وابن أبي حاتم(٤)، والسمعاني(٥)،وتاج القراء(٦)،

قال فخر الدين الرازي(٧):"{ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله} وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي هَذَا الموضِعِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: تَمَّ الْكَلَامُ هَاهُنَا، ثُمَّ (الْوَاوُ) فِي قَوْلِهِ:{ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} وَاوُ الِابْتِدَاءِ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ: لَا يَعْلَمُ الْمُتَشَابِهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَائِشَةَ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالْكِسَائِيِّ، وَالْفَرَّاءِ، وَمِنَ الْمُعْتَزِلَةِ قَوْلُ أَبِي عَلِيٍّ الْجُبَّائِيِّ، وَهُوَ الْمُخْتَارُ عِنْدَنَا".

أدلة أصحاب هذا المذهب:

استدل أصحاب هذا المذهب على صحة ما قالوا ، بالحجج الآتية:

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير٣/٢٨.

(٢) ينظر: معاني القرآن ١/٩١.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٦/٢٠١ .

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم٢/٥٩٩.

(٥) ينظر: تفسير القرآن ١/٢٩٦.

(٦)ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/٢٤٢.

(٧) مفاتيح الغيب ٧/١٤٥.

الْحُجَّةُ الْأُولَى: أَنَّ اللَّفْظَ إِذَا كَانَ لَهُ مَعْنًى رَاجِحٌ، ثُمَّ دَلَّ دَلِيلٌ أَقْوَى مِنْهُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الظَّاهِرَ غَيْرُ مُرَادٍ، عَلِمْنَا أَنَّ مُرَادَ اللَّهِ . تَعَالَى . بَعْضُ مَجَازَاتِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ، وَفِي الْمَجَازَاتِ كَثْرَةٌ، وَتَرْجِيحُ الْبَعْضِ عَلَى الْبَعْضِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّرْجِيحَاتِ اللُّغَوِيَّةِ، وَالتَّرْجِيحَاتُ اللُّغَوِيَّةُ لَا تُفِيدُ إِلَّا الظَّنَّ الضَّعِيفَ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَسْأَلَةُ قَطْعِيَّةً يَقِينِيَّةً، كَانَ الْقَوْلُ فِيهَا بِالدَّلَائِلِ الظَّنِّيَّةِ الضَّعِيفَةِ غَيْرُ جَائِزٍ ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ مِنَ الْمَسَائِلِ الظَّنِّيَّةِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْقَوْلُ فِيهَا بِالدَّلَائِلِ الظَّنِّيَّةِ بَاطِلًا، وَأَيْضًا قَالَ اللَّهُ . تَعَالَى . : { الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْإِلَهُ فِي الْمَكَانِ، فَعَرَفْنَا أَنَّهُ لَيْسَ مُرَادُ اللَّهِ . تَعَالَى . مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ مَا أَشْعَرَ بِهِ ظَاهِرُهَا، إِلَّا أَنَّ فِي مَجَازَاتِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ كَثْرَةٌ فَصَرْفُ اللَّفْظِ إِلَى الْبَعْضِ دُونَ الْبَعْضِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّرْجِيحَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الظَّنِّيَّةِ، وَالْقَوْلُ بِالظَّنِّ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ غَيْرُ جَائِزٍ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذِهِ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَالْقَلْبُ الْخَالِي عَنِ التَّعَصُّبِ يَمِيلُ إِلَيْهِ، وَالْفِطْرَةُ الْأَصْلِيَّةُ تَشْهَدُ بِصِحَّتِهِ(١).

الحجة الثانية: أنّ عددًا من الصحابة . رضي الله عنهم . والتابعين . رحمهم الله . ذكروا ذلك، وهاك بعضَ أقوالهم التي ذكرها الإمام الطبري(٢):

الأول: عن نافع، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة . رضي الله عنها . قوله: "والراسخون في العلم يقولون آمنا به"، قالت: كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه، ولم يعلموا تأويله.

الثاني: كان ابن عباس يقول: {وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون [في العلم] آمنا به}.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ١٤٥/٧، والبحر المحيط في التفسير ٢٨/٣.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ٢٠١/٦ .

الثالث: عن هشام بن عروة قال: كان أبي يقول في هذه الآية: " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم"، إنّ الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله، ولكنهم يقولون:" آمنا به كل من عند ربنا".

الرابع: عن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول:" والراسخون في العلم"، انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: "آمنا به كلٌّ من عند ربنا".

الخامس: عن أشهب، عن مالك في قوله: "وما يعلم تأويله إلا اللهّ"، قال: ثم ابتدأ فقال: "والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا"، وليس يعلمون تأويله.

الحجة الثالثة : القراءة في ذلك، وهي قراءة أبيّ ـ رضي الله عنه ـ : (وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)، وقراءة عبد الله ـ رضي الله عنه ـ :{إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلا عِنْدَ اللَّهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ}(١).

الحجة الرابعة: قول النحاة؛ حيث قالوا: وَإِنَّمَا يَسْتَقِيم أَن تَقول: وَمَا يعلم تَأْوِيله إِلَّا الله والراسخون فِي الْعلم قائلين: {أمنا بِهِ}(٢).

المذهب الثاني: أَنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يَتِمُّ عِنْدَ قَوْلِهِ: { وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ الْعِلْمُ بِالْمُتَشَابِهِ حَاصِلًا عِنْدَ اللَّهِ ـ تَعَالَى ـ وَعِنْدَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، و(الواو) عاطفة ، عطفت الراسخين في العلم على لفظ الجلال ـ سبحانه في علاه ـ، والمعنى : والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به، وعلى هذا فيجوز في الجملة القولية وجهان، أحدهما: أنها حال أي: يعلمون

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٩١/١، وجامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ٢٠١/٦، وتفسير القرآن للسمعاني ٢٩٦/١ .

(٢) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني٢٩٦/١.

تأويله حال كونهم قائلين ذلك، والثاني: أن تكون خبر مبتدأ مضمر أي: هم يقولون.

رجح هذا القول مجاهد(١)، وابن قتيبة(٢)، وأبو جعفر النحاس(٣)، وأبو بكر البقلاني(٤)، ومكي بن أبي طالب(٥) ، والزمخشري(٦)، والنووي(٧)، وأبو حيان(٨)، وَهَذَا الْقَوْلُ أَيْضًا مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَأَكْثَرِ الْمُتَكَلِّمِينَ.

قال ابن قتيبة الدينوري(٩) :" ولسنا ممن يزعم: أنّ المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم، وهذا غلط من متأوّليه على اللّغة والمعنى، ولم ينزل الله شيئا من القرآن إلا لينفع به عباده، ويدلّ به على معنى أراده، فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطّاعن مقال، وتعلّق علينا بعلّة، وهل يجوز لأحد أن يقول: إن رسول، الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لم يكن يعرف المتشابه؟!.

وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله ـ تعالى ـ: {وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ} [آل عمران: ٧] جاز أن يعرفه الرّبّانيون من صحابته، فقد علّم عليّا التفسير، ودعا لابن عباس فقال: «اللهم علّمه التأويل، وفقّهه في الدين» ، فإنّا لم نر المفسرين توقّفوا عن شيء من القرآن فقالوا: هذا متشابه لا يعلمه إلا الله، بل

(١) ينظر: تفسير مجاهد صـ ٢٤٩.

(٢)ينظر: الكتاب: تأويل مشكل القرآنصـ٦٧.

(٣)إعراب القرآن ١/٣٥٥. ٣٥٧.

(٤)الانتصار للقرآن ٢/٧٧٧.

(٥) ينظر: مشكل إعراب القرآن١/١٤٩.

(٦)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/٣٣٨.

(٧)ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٦/٢١٨ .

(٨)ينظر: البحر المحيط في التفسير٣/٢٨.

(٩)تأويل مشكل القرآن صـ٦٧.

أمرّوه كلّه على التفسير، حتى فسروا (الحروف المقطّعة) في أوائل السّور، مثل: الر، وحم، وطه، وأشباه ذلك... فإن قال قائل: كيف يجوز في اللغة أن يعلمه الراسخون في العلم، والله تعالى يقول: {وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} [آل عمران: ٧] وأنت إذا أشركت الراسخين في العلم انقطعوا عن (يقولون) ، وليست هاهنا واو نسق توجب للراسخين فعلين. وهذا مذهب كثير من النحويين في هذه الآية، ومن جهته غلط قوم من المتأوّلين؟.

قلنا له: إن (يقولون) هاهنا في معنى الحال، كأنه قال: الرّاسخون في العلم قائلين: آمنا به. ومثله في الكلام: لا يأتيك إلا عبد الله، وزيد يقول: أنا مسرور بزيارتك. يريد: لا يأتيك إلا عبد الله وزيد قائلا: أنا مسرور بزيارتك".

أدلة أصحاب هذا المذهب:

أولًا: قَوْلُهُ . صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . لِابْنِ عَبَّاسٍ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»

مَا يُبَيِّنُ ذَلِكَ، أَيْ: عَلِّمْهُ مَعَانِيَ كِتَابِكَ، وَكَانَ عُمَرُ إِذَا وَقَعَ مُشْكِلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ يَسْتَدْعِيهِ وَيَقُولُ لَهُ: غَصَّ غَوَّاصٍ، وَيَجْمَعُ أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالنَّظَرِ فِي مَعَانِي الْكِتَابِ(١).

وردَّ: بأنه على جعل (يقولون) حال يقتضي أن يكون من المعطوف والمعطوف عليه، وهو فاسد(٢).

ويجاب بما قاله ابن قتيبة(٣): إن (يقولون) هاهنا في معنى الحال، كأنه قال: الرّاسخون في العلم قائلين: آمنا به، ومثله في الكلام: لا يأتيك إلا عبد الله،

(١)ينظر: البحر المحيط في التفسير ٣/٢٨.

(٢)ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/٢٤٢.

(٣) تأويل مشكل القرآن صـ٦٧.

وزيد يقول: أنا مسرور بزيارتك. يريد: لا يأتيك إلا عبد الله وزيد قائلا: أنا مسرور بزيارتك، ومثله لابن مفرّغ الحميريّ يرثي رجلا في قصيدة أولها(١) :

الرِّيحُ تَبكِي شَجْوَهُ والبَرْقُ يَلْمَعُ في الغَمَامَهْ

أراد: والبرق لا معا في غمامة تبكي شجوه أيضا، ولو لم يكن البرق يشرك الرّيح في البكاء، لم يكن لذكره البرق ولمعه معنى.

الثاني: ويمكن أيضا على هذا الوجه مع عطف «الراسخين» على ما تقدّم، وإثبات العلم بالمتشابه لهم أن يكون قوله: يَقُولُونَ آمَنَّا استئناف جملة، واستغنى فيه عن حرف العطف؛ كما استغنى في قوله تعالى: {سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ} [الكهف: ٢٢]، ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس بالجملة الأولى، فيستغنى به عن حرف العطف، ولو عطف بحرف العطف كان حسنا، ينزّل المتلبّس منزلة غير المتلبّس(٢).

الثالث: أن الله ـ عز وجل ـ مدحهم بالرسوخ في العلم ، فكيف يمدحهم وهم جهالٌ؟

قال مكي(٣): "قَوْله {والراسخون فِي الْعلم} عطف على الله جلّ ذكره فهم يعلمُونَ الْمُتَشَابه وَلذَلِك وَصفهم الله تَعَالَى بالرسوخ فِي الْعلم وَلَو كَانُوا جُهَّالًا بِمَعْرِفَة الْمُتَشَابه لما وصفوا بالرسوخ فِي الْعلم".

الرابع: لأنه إذا كان لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله لم يكن في إنزاله ومخاطبة المكلفين به فائدة بل يكون كخطاب العربي بالزنجيه ومعلوم أن ذلك عيب

---

(١) من بحر الكامل.

والبيت في: الأمالي للزجاجي صـ ٤٣،والأضداد لأبي بكر بن الأنباري صـ٤٢٤، والصاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس صـ١٨١، وشرح شافية ابن الحاجب٣٦/٤، وخزانة الأدب ٣٠٤/٤.

(٢)ينظر: أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) صـ٤٣٩.

(٣)ينظر: مشكل إعراب القرآن ١٤٩/١.

قبيح، فإن قلت : فما الذى يكون موضع (يقولون) من الإعراب ؟ قلت : يمكن أن يكون نصبا على أنه حال من الراسخين ، ويمكن أن يكون كلاما مستأنفا ، أي: هؤلاء العالمون بالتأويل ، يقولون آمنا به (١) .

السادس: والأصح الأول، وأن الراسخين يعلمونه؛ لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته، وقد اتفق أصحابنا وغيرهم من المحققين على أنه يستحيل أن يتكلم الله تعالى بما لا يفيد(٢).

وأرى أن المسألة تحتاج إلى توضيح ، وأن كلا القولين محتملٌ، وأن المتشابه يتنوع، فمنه ما لا يعلم ألبتة، كأمر الروح، وآماد المغيبات التي قد اختص الله بعلمها، فإذا كان الأمر كذلك فإن (الواو) تكون للابتداء، والراسخون مبتدأ، خبره: يقولون.

ومنه ما يحمل على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب، فيتأول تأويله المستقيم، ويزال ما فيه مما عسى أن يتعلق به من تأويل غير مستقيم ، ولا يسمى أحد راسخا إلا بأن يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له، وإلا فمن لا يعلم سوى المحكم فليس يسمى راسخا، وَالرَّاسِخُونَ عطفا على اسم الله ـ تعالى ـ فالمعنى إدخالهم في علم التأويل لا على الكمال، بل علمهم إنما هو في النوع الثاني من المتشابه، وبديهة العقل تقضي بهذا، والكلام مستقيم على فصاحة العرب كما تقول: ما قام لنصرتي إلا فلان وفلان، وأحدهما قد نصرك بأن حارب معك، والآخر إنما أعانك بكلام فقط، إلى كثير من المثل، فالمعنى وَما يَعْلَمُ تأويل المتشابه إلا الله وَالرَّاسِخُونَ كل بقدره، وما يصلح له، وَالرَّاسِخُونَ بحال قول في جميعه آمَنَّا بِهِ، وإذا تحصل لهم في الذي لا يعلم ولا يتصور عليه تمييزه من غيره فذلك قدر من العلم بتأويله، وإن جعلنا قوله: وَالرَّاسِخُونَ رفعا بالابتداء

(١)ينظر: شرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، ٤٠٤/٦ .

(٢)ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ٢١٨/١٦ .

مقطوعا مما قبله، فتسميتهم راسخين يقتضي بأنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب، وفي أي شيء هو رسوخهم، إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع، وما الرسوخ إلا المعرفة بتصاريف الكلام وموارد الأحكام، ومواقع المواعظ، وذلك كله بقريحة معدة، فالمعنى وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ على الاستيفاء إلا الله، والقوم الذين يعلمون منه ما يمكن أن يعلم يقولون في جميعه آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وهذا القدر هو الذي تعاطى ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ، وهو ترجمان القرآن، ولا يتأول عليه أنه علم وقت الساعة وأمر الروح وما شاكله، فإعراب الرَّاسِخُونَ يحتمل الوجهين، ولذلك قال ابن عباس بهما، والمعنى فيهما يتقارب بهذا النظر الذي سطرناه(١).

والله أعلى وأعلم

* * *

(١)ينظر: أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)للشريف المرتضى صـ٤٣٩، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية١/٤٠٢ .

المسألة التاسعة: استحالة الجمع بين الأموات : (الذين يموتون) مع الأحياء :(الذين يعملون السيئات) في حكم (نفي التوبة) في ظاهر قوله ـ تعالى ـ :{ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّار} [سورة النساء : آية ١٨]

إذا عطف بالواو على منفي فإن قصدت المعية لم يؤت بـ (لا) بعد (الواو)، نحو: ما قام زيد وعمرو، وقد ترد زائدة، إن أمن اللبس، نحو: ما يستوي زيد ولا عمرو. لأن المعية هنا مفهومة من يستوي، وإن لم تقصد المعية جيء ب لا، نحو: ما قام زيد ولا عمرو، ليعلم بذلك أن الفعل منفي عنهما حال الاجتماع والافتراق ومنه :{ وَما أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى}[سورة سبأ: من الآية :٣٧](١).

نص النحاس على الإشكال:

قال الإمام أبو جعفر النحاس(٢) :قوله " وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابًا أَلِيمًا}، قال أبو جعفر: الآيةُ مُشْكَلَةٌ، والإعراب يبيّن معناها فقوله ـ جلّ وعزّ ـ :{ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} عطف على الذين يعملون السيئات، وفي معناه ثلاثة أقوال: فأكثر الناس على أن معنى السيئات هاهنا لما دون الكفر، أي: ليست التوبة لمن عمل دون الكفر من السيئات ثم تاب عند الموت، ولا لمن مات كافرًا فتاب يوم القيامة، ويجوز أن يكون معنى «ولا الذين يموتون» ولا الذين يقاربون الموت، وقيل: الذين يعملون السيئات الكفار، وغيرهم، ثم خصّ الكفار، كما قال ـ جلّ وعزّ ـ {فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} [الرّحمن: ٦٨] ، وقول ثالث: يكون الذين يعملون السيئات الكفار

---

(١) ينظر: الجنى الداني للمرادي صـ ١٦١.

(٢) إعراب القرآن ٢٠٥/١.

فيكون المعنى: وليست التوبة للكفار الذين يتوبون عند الموت، ولا الذين يموتون وهم كفار".

لم تتفق كلمة النحويين في نوع الواو في قوله ـ تعالى ـ { وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} بل اختلفوا على مذهبين:

المذهب الأول : ذهب أصحابه إلى أن كلمة «الذين» مجرور المحل عطفًا على الذين يعملون السيئات، أي: ليست التوبة لهؤلاء، ولا لهؤلاء، فسوَّى بين من مات كافرًا، وبين من لم يتب إلَّا عند معاينة الموت في عدم قبول توبتهما، وعليه فالواو عاطفة عطفت { ولا الذين يموتون وهم كفار} على قوله:{ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ}، وعليه فالواو: عاطفة، و(لا) نافية، و(الذين) عطف على (الذين يعملون)، وجملة (يموتون) صلة، و(الواو): حالية، و(هم): مبتدأ، و(كفار): خبر والجملة في محل نصب على الحال، رجح هذا المذهب الفراء(١)، وأبو بكر بن الأنباري(٢)، وأبو جعفر النحاس(٣)، والزمخشري(٤)، والنسفي(٥)، وشرف الدين الطيبي(٦)، وابن عادل الحنبلي(٧)، وأبو السعود(٨)، والطاهر بن عاشور(٩).

---

(١) ينظر: معاني القرآن ٢٥٩/١.

(٢) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ٥٩٥/٢.

(٣) ينظر: إعراب القرآن ٢٠٥/١.

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤٨٨/١.

(٥) ينظر: تفسير النسفي ٢٠٩/١.

(٦) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٤٨١/٤.

(٧) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٢٥٥/٦.

(٨) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٥٧/٢.

(٩) ينظر: التحرير والتنوير ٦٦/٤.

أدلة أصحاب المذهب:

استدل أصحاب هذا المذهب بأن الوقف على قوله ـ تعالى ـ :{قال إني تبت الآن} وقف غير تام؛ لأن قوله: {ولا الذين يموتون} نسق على (الذين)، كأنه قال: «وليست التوبة للذين يعملون السيئات ولا الذين يموتون» والوقف على {عذابا أليما} تام(١).

قال أبو جعفر النحاس(٢):" قال الأخفش: {إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب} التمام فيه {قال إني تبت الآن}، وتابعه على هذا أحمد بن جعفر، قال أبو جعفر: وهذا غلط بين؛ لأن {ولا الذين يموتون} معطوف على ما قبله فلا يتم الكلام حتى يأتي بالمعطوف ولا سيما في المخفوض لأن التقدير في العربية: وليست التوبة للذين يعملون السيئات ولا الذين يموتون وهم كفار، والتمام {أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليما}".

المذهب الثاني: ذهب أصحابه إلى أن قوله ـ تعالى ـ:{ولا الذين يموتون} في موضعه وجهان: أحدهما هو جر عطفا على الذين يعملون السيئات: أي ولا الذين يموتون.

والوجه الثاني: أن يكون مبتدأ، وخبره {أولئك أعتدنا لهم}، واللام لام الابتداء وليست لا النافية، رجح هذا القول الأخفش(٣)، وأبو البقاء العكبري(٤)، وأحمد بن عبد الكريم الأشموني المصري(٥).

قال أبو البقاء العكبري(٦):" قوله ـ تعالى ـ: {ولا الذين يموتون} : في موضعه وجهان: أحدهما: هو جر عطفا على الذين يعملون السيئات؛ أي: ولا

---

(١) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ٢/٥٩٥.

(٢) ينظر: القطع والائتلاف صـ١٦٢.

(٣) ينظر: القطع والائتلاف لأبي جعفر النحاس صـ١٦٢.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/٣٤٠.

(٥) ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ١/١٧٧.

(٦)التبيان في إعراب القرآن ١/٣٤٠.

الذين يموتون. والوجه الثاني: أن يكون مبتدأ وخبره «أولئك أعتدنا لهم» . واللام لام الابتداء وليست لا النافية".

وقال أحمد بن عبد الكريم الأشموني المصري(١):" ولا وقف من قوله: {وليست التوبة} إلى {أليمًا}، فلا يوقف على {السيئات}، ولا على {الموت}، ولا على {إني تبت الآن}؛ لأنَّ قوله: {ولا الذين يموتون} عطف على {وليست}، والوقف على المعطوف عليه دون المعطوف قبيح، فكأنه قال: وليست التوبة للذين يعملون السيئات الذين هذه صفتهم، ولا الذين يموتون وهم كفار، {فالذين} مجرور المحل عطفًا على الذين يعملون، أي ليست: التوبة لهؤلاء، ولا لهؤلاء، فسوَّى بين من مات كافرًا، وبين من لم يتب إلَّا عند معاينة الموت -في عدم قبول توبتهما، وإن جعلت {وللذين} مستأنفًا مبتدأ، وخبره {أولئك} -حسن الوقف على {الآن}، ويبتدئ {وللذين يموتون}، واللام في {وللذين} لام الابتداء، وليست لا النافية، وإن جعلت قوله: {أولئك} مبتدأ، و {أعتدنا} خبره حسن الوقف على {كفار}، وقيل: إن {أولئك} إشارة إلى المذكورين قبل {أولئك}، {أَلِيمًا} [١٨] تام؛ للابتداء بالنداء".

الرد عليهم:

ذكر السمين الحلبي(٢)، وابن عادل الحنبلي(٣) أن أبا البَقَاءِ أجاز في {الذين} أن يكون مرفوع المحلّ على الابتداء وخبره «أولئك» وما بَعْدَهُ مُعْتَقِدا أنَّ اللامَ لام الابتداء، وليست بـ «لا» النَّافية، وهذا الَّذي قاله من كون اللام لام الابتداء لا يصحُّ أن يكونَ قد رُسِمَتْ في المُصْحَفِ لامٌ داخلة على {الذين}

(١) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ١/١٧٧.

(٢) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٣/٦٢٦.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لا بن عادل الحنبلي ٦/٢٥٥.

فيصير «وللذين»، وليس المرسوم كذلك، وإنَّمَا هو لام وألف، وألف لام التَّعريف الدَّاخلة على الموصول وصورته: ولا الذين.

والرأي الراجح هو الأول؛ لأن التسوية بين الذين سوّفوا توبتهم إلى حضرة الموت ، وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أوّل أحوال الآخرة ، فكما إن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين ، فكذلك المسوّف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة هو المفهوم من الآية .

قال شرف الدين الطيبي(١):" { وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ} عطفٌ على {الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ}؛ سوّى بين الذينَ سوّفوا توبتهم إلى حضرة الموت، وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم؛ لأنّ حضرة الموت أول أحوال الآخرة؛ فكما أنّ المائتَ على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين، فكذلك المسوّف إلى حضرة الموت؛ لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار.

ولعل الإشكال الذي عناه أبو جعفر النحاس كيف يصح عطف{ ولا الذين يموتون وهم كفار } على الموصول في قوله { للذين يعملون السيئات } أي : ليست التوبة لأولئك ولا للذين يموتون وهم كفار مع أنه لا توبة لهم رأسًا.

والجواب: إنما ذكروا مبالغة في بيان عدم قبول توبة من حضرهم الموت وأن وجودها كعدمها(٢).

ولعل السبب كذلك أنه لا توبة بعد الموت، فكيف يقول: {يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ}؟ وأجيب عن ذلك بجوابين:

---

(١) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب لشرف الدين الطيبي ٤/٤٨١.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ٢/١٥٧، وروح البيان لإسماعيل حقي٢/١٨٠، وفتح القدير للشوكاني١/٥٠٥.

الأول: بأن معناه : يشرفون على الموت على أسلوب قوله: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا} [النساء:٩] أي: لو أشرفوا على أن يتركوا ذرية. والداعي إلى التأويل نظم الكلام لأن لا عاطفة على معمول لخبر التوبة المنفية، فيصير المعنى: وليست التوبة للذين يموتون وهم كفار فيتوبون، ولا تعقل توبة بعد الموت فتعين تأويل يموتون بمعنى يشرفون، كقوله: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ} [البقرة:٢٤٠](١).

الثاني: أن المراد لا نفع ما يكون من توبتهم (٢).

أو لعل الإشكال أن المعطوف مغاير للمعطوف عليه؛ لأن الطائفة الثانية كفار فالأوّلون فساق لكنهما مشتركان في العذاب الأليم، فثبت أن حكمهما واحد. وأجيب بأن أُولئِكَ إشارة إلى أقرب المذكورين، ويعضده أن الكفار أشنع قولا من الفساق، أو الطائفة الأولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كـ (فرعون)، والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه كـ (نمروذ) مثلا(٣).

والله أعلى وأعلم

* * *

(١) ينظر: التحرير والتنوير المعروف لابن عاشور ٦٦/٤.

(٢) ينظر: تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا ٣٦٩/٤.

(٣) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري ٣٧٥/٢.

المسألة العاشرة: إيجاب الحكم (التيمم) مع عدم موجبه في (مرضى) و(على سفر) في ظاهر قوله ـ تعالى ـ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} [سورة النساء ، من الآية :٤٣].

(أو): حرف عطف يأتي بعد الاستفهام للشكّ(١)، نحو: أزيدٌ عندكَ أَوْ بَكْرٌ؟ تريد: أحدهما عندك، فالجواب : "لا" ، أو "نعم"، أما إذا قَصَدْتَ أَحدَهُمَا، فكقولك: كُلِ السّمك ،أَو اشرب اللَّبن، أَي: لَا تجمعهما، وَلَكِن اختر أيّهما شِئت (٢)،ولذلك فهي تأتي لمعانٍ ، منها : أن تكون للتخيير(٣) كـ قوله . جل ثناؤه .:{ **فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** }[سورة المائدة، من الآية :٨٩]، وكقولك للرَّجل: جالس الفقهاء ،أَو النحويين، فمعناه: إن جالست الفقهاء أَصبتَ، وإن جالستَ النحويين أَحسنت، وإن جالست الفريقين فأَنت مصيبٌ أَيْضًا.

ومنها: أنها تكون للإباحة(٤) ، تقول: خُذْ ثوبًا أو فرَسًا.

ومنها : أنها تكون ، بمعنى : (إلاّ أنْ) (٥) ، تقول : لأُلومنَّك أو تُعطيني حقي ، بمعنى : إلاّ أن تعطيني، **قال امرؤ القيس**(٦):

---

(١)ينظر: الأضداد لابن الأنباري صـ٢٨١،والصاحبي صـ٨٩، والجنى الداني صـ٢٢٩.

(٢)ينظر: تهذيب اللغة للأزهري [أو] ٤٧٢/١٥، والصحاح ٢٢٧٥/٦.

(٣)ينظر: الأضداد لابن الأنباري صـ٢٨١، وتهذيب اللغة للأزهري [أو] ٤٧٢/١٥، والصاحبي صـ٨٩، والجنى الداني صـ٢٢٩، والمقاصد الشافية للشاطبي ١٢٠/٥.

(٤)ينظر: الصحاح ٢٢٧٥/٦،والصاحبي صـ٩٠، والجنى الداني صـ٢٢٩.

(٥)ينظر: الصاحبي صـ٩٠.

(٦) من الطويل ،لأمرئ القيس في ديوانه صـ ٩٦.

==

فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرا

ومنها: أن تكون بمعنى "الواو " (١)، مثل قوله . تعالى . : **{وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا}** [سورة الإنسان ،من الآية :٢٤] ، أي: آثما وكفورًا .

نص النحاس على الإشكال:

قال الإمام أبو جعفر النحاس(٢) : " {حَتَّى تَعْلَمُوا} نصب بـ (حتى)،{ وَلا جُنُبًا} عطف على الموضع، أي: ولا تقربوا الصلاة جنبا، {إِلَّا عابِرِي سَبِيلٍ} نصب على الحال، قال الأخفش: كما تقول: لا تأتني إلّا راكبا، قال أبو جعفر: وقد ذكرنا معنى الآية إلّا أنها مشكلة ...{أَوْ عَلى سَفَرٍ} لا تجدون فيه الماء {أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ} قد ذكرنا أنّ بعض الفقهاء قال: (أو)، بمعنى: (الواو)؛ وإنّما احتاج إلى هذا؛ لأن المرض، والسفر ليسا بحدثين، والغائط حدث، والحذّاق من أهل العربية لا يجيزون أن يكون «أو» بمعنى (الواو)؛ لاختلافهما، فبعضهم يقول: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى، أو جاء أحد منكم من الغائط، أو لامستم النساء، وإن كنتم جنبا فاطهّروا» ،أي: وإن كنتم جنبا وأردتم الصلاة، والتقديم والتأخير لا ينكر، كما قال

==

المعنى : يخاطب امرؤ القيس صاحبه عَمروُ بن قَميئة ، وينهه عن البكاء ، ويبين له أنهما يحاولان الوصول إلى الملك . أي ملك قيصر ملك الروم . إلا أن يموتا فيعذرهما الناس .

والبيت في : الجمل في النحو للخليل صـ ١٣٩، والكتاب لسيبويه ٤٧/٣، والمقتضب للمبرد ٢٨/٢،والصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لا بن فارس صـ٨٩، ورسائل في اللغة لابن السيد البطليوسي صـ٥١،وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم للحميري ١١٧/١.

(١)ينظر: كتاب العين للخليل [أو] ٤٣٨/٨،والأضداد لابن الأنباري صـ٢٨١، والصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لا بن فارس ٩٠/١، وفقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي صـ ٢٤٨.

(٢) إعراب القرآن ٢١٦/١.

الله . جلّ وعزّ . :{ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى} [طه: ١٢٩]، أي: ولولا كلمة سبقت من ربّك وأجل مسمّى...وقيل: في الكلام حذف بلا تقديم ولا تأخير، والمعنى: وإن كنتم مرضى أو على سفر، وقد قمتم إلى الصلاة محدثين فتيمّموا صعيدا طيبا وكذا {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ } [المائدة: ٦] معناه: إذا قمتم محدثين".

بعد عرض قول الإمام أبي جعفر النحاس يتبين لنا أنه لا يجيز أن تكون (أو) بمعنى (الواو)،لأن لكل حرف معنى مختلف، ويرى أن الآية بها تقديم وتأخير ، والتقدير «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى، أو جاء أحد منكم من الغائط، أو لامستم النساء، وإن كنتم جنبا فاطهّروا» ،أي: وإن كنتم جنبا وأردتم الصلاة، والتقديم والتأخير لا ينكر، كما قال الله . جلّ وعزّ . :{ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى} [طه: ١٢٩]، أي: ولولا كلمة سبقت من ربّك وأجل مسمّى.

وهذا مذهب جمهور البصريين(١)، وتبعهم الزمخشري(٢)، والقرطبي(٣)، وابن تيمية(٤)، وخليل بن إسحاق بن موسى(٥)؛ قال ابن تيمية(٦):" **قَوْله تَعَالَى {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} الْآيَةَ، هَذَا مِمَّا أَشْكَلَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ، فَقَالَ طَائِفَةٌ مِنْ النَّاسِ: (أَوْ)، بِمَعْنَى: (الْوَاوِ)، وَجَعَلُوا التَّقْدِيرَ: وَجَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ. وَلَامَسْتُمْ النِّسَاءَ، قَالُوا: لِأَنَّ**

---

(١) ينظر : البديع في علم العربية ٢٦٩/١ ، ومغني اللبيب صـ ١٥١، والمساعد على تسهيل الفوائد ٢٤٨/٢، والتصريح بمضمون التوضيح ٦٣٧/١، وحاشية الصبان على شرح الأشموني ٣٢٧/٢.

(٢) ينظر : المفصل صـ٣٨١.

(٣) **ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/٥.**

(٤) **مجموع الفتاوى** ٣٨١/٢١.

(٥)**التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب ١٨١/١.**

(٦) **مجموع الفتاوى** ٣٨١/٢١.

مِنْ مُقْتَضَى (أَوْ) أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْ الْمَرَضِ وَالسَّفَرِ مُوجِبًا لِلتَّيَمُّمِ؛ كَالْغَائِطِ وَالْمُلَامَسَةِ، وَهَذَا مُخَالِفٌ لِمَعْنَى الْآيَةِ فَإِنَّ (أَوْ) ضِدُّ (الْوَاوِ)، وَالْوَاوُ: لِلْجَمْعِ وَالتَّشْرِيكِ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَأَمَّا مَعْنَى: (أَوْ) فَلَا يُوجِبُ الْجَمْعَ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ بَلْ يَقْتَضِي إثْبَاتَ أَحَدِهِمَا، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مَعَ إبَاحَةِ الْآخَرِ، كَقَوْلِهِ: جَالِسْ الْحَسَنَ أَوْ ابْنَ سِيرِين؛ وَتَعَلَّمْ الْفِقْهَ، أَوْ النَّحْوَ؛ وَمِنْهُ خِصَالُ الْكَفَّارَةِ يُخَيَّرُ بَيْنَهَا وَلَوْ فَعَلَ الْجَمِيعَ جَازَ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْحَصْرِ؛ يُقَالُ لِلْمَرِيضِ: كُلْ هَذَا أَوْ هَذَا، وَكَذَلِكَ فِي الْخَبَرِ: هِيَ لِإِثْبَاتِ أَحَدِهِمَا إمَّا مَعَ عَدَمِ عِلْمِ الْمُخَاطَبِ. وَهُوَ الشَّكُّ أَوْ مَعَ عِلْمِهِ وَهُوَ الْإِيهَامُ كَقَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ : {وَأَرْسَلْنَاهُ إلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} لَكِنَّ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ: هُوَ الْأَصَحُّ وَهُوَ أَنَّ خِطَابَهُ بِالتَّيَمُّمِ: لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ وَإِنْ كَانَ قَدْ جَاءَ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ جَامَعَ، وَلَا يَنْبَغِي – عَلَى قَوْلِهِمْ – أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: أَنْ لَا يُبَاحَ التَّيَمُّمُ إلَّا مَعَ هَذَيْنِ. بَلْ التَّقْدِيرُ: بِالِاحْتِلَامِ أَوْ حَدَثٍ بِلَا غَائِطٍ فَالتَّيَمُّمُ هُنَا أَوْلَى وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَمَرَ كُلَّ قَائِمٍ إلَى الصَّلَاةِ بِالْوُضُوءِ أَمَرَهُمْ إذَا كَانُوا جُنُبًا: أَنْ يَطَّهَّرُوا وَفِيهِمْ الْمُحْدِثُ بِغَيْرِ الْغَائِطِ كَالْقَائِمِ مِنْ النَّوْمِ وَالَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ الرِّيحُ. وَمِنْهُمْ الْجُنُبُ بِغَيْرِ جِمَاعٍ بَلْ بِاحْتِلَامِ. فَالْآيَةُ عَمَّتْ كُلَّ مُحْدِثٍ وَكُلَّ جُنُبٍ. فَقَالَ تَعَالَى: {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ} {فَتَيَمَّمُوا} فَأَبَاحَ التَّيَمُّمَ لِلْمُحْدِثِ وَالْجُنُبِ إذَا كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ يَجِدْ مَاءً".

وحجّة الشيخ ـ رحمه الله ـ: أنّ (أو) ضدّ الواو، فالواو للجمع والتشريك بين المعطوف، والمعطوف عليه. أمّا (أو) فلا توجب الجمع بين المعطوف، والمعطوف عليه، مثلما تقول: جالس الحسن، أو ابن سيرين.

قال الشيخ: " ولو كانت (أو) بمعنى الواو، كان تقدير الكلام: إنّ التيمّم لا يباح إلا بوجود شرطين: المرض، والسفر، مع المجيء من الغائط، والاحتلام، فيلزم من هذا أن لا يباح مع الاحتلام، ولا مع الحدث، بلا غائط، كحدث النائم، ومن خرجت منه الريح، فإنّ الحكم إذا عُلّق بشرطين؛ لم يثبت مع أحدهما، وهذا

ليس مراداً قطعاً، بل هو ضدّ الحقّ، لأنّه إذا أبيح مع الغائط الذي لا يحصل بالاختيار؛ فمع الخفيف، وعدم الاختيار أولى، فتبيّن أنّ معنى الآية: وإن كنتم مرضى، أو على سفر، فتيمّموا، وإن كان مع ذلك قد جاء أحد منكم من الغائط،أو لامستم النساء ".

أدلة أصحاب هذا المذهب :

استدل أصحاب هذا المذهب على رجحان مذهبهم ، بما يأتي:

أولًا: أنهم يرون أن حروف المعاني لا ينوب بعضها عن بعض قياسا على حروف الجزم، وأحرف النصب، فكما لا تنوب هذه الأحرف بعضها عن بعض فكذلك الأمر هاهنا(١)، وما أوهم ذلك

فهو عندهم على توجيهات(٢):

الأول: إما أن يُؤَوَّلَ تأويلا يقبله اللفظ، كما قيل في قولهΔ:**{وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} سورة طه، من الآية :٧١]**، أن "في" ليست بمعنى: "على" ولكن شبه المصلوب ؛ لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء.

الثاني: وإمَّا على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف كما ضمن الفعل "شربن" معنى روين(٣).

الثالث: وإمّا على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى.

---

(١) ينظر : التصريح بمضمون التوضيح ٦٣٧/١.

(٢) ينظر : مغني اللبيب صـ ١٥١، والتصريح بمضمون التوضيح ٦٣٧/١، وهمع الهوامع ٤٦٣/٢، ومعاني النحو للدكتور/فاضل٧/٣.

(٣) قال ابن مالك . بعد قول أبي ذؤيب : **شَرِبْنَ بِمَاءِ البَحْرِ. :" والأجود في هذا أن يضمن "شربن "معنى "روين" ويعامل معاملته، كما ضمن "يحمى "معنى "يوقد " فعومل معاملته في:ٌاَقي كا كل كم كى كيً** [سورة التوبة، من الآية:٣٥]؛ **لأن المستعمل أحميت الشيء في النار: وأوقدت عليه"** ، شرح التسهيل ١٥٣/٣.

ثانيًا: أنّه لو كان ذلك قياسًا لصح أن تقول : سرت إلى زيد، وأنت تريد "معه"، وأن تقول :زيد في الفرس، وأنت تريد عليه، وأن تقول: رويت الحديث بزيد، وأنت تريد عنه، ونحو ذلك(١).

ثالثًا: أن حرف الجر ليس له إلا معنى واحد أصلي يؤديه على سبيل الحقيقية لا المجاز؛ فالحرف: "في" يؤدي معنى واحدًا حقيقيًا هو "الظرفية"، والحرف: "على" يؤدي معنى واحدًا حقيقيًا هو "الاستعلاء"، والحرف: "من" يؤدي: "الابتداء"، والحرف: "إلى" يؤدي: "الانتهاء"، وهكذا بقية الحروف(٢).

وذهب جمهور الكوفيين(٣)،وتبعهم معمر بن المثنى(٤)، والأخفش الأوسط(٥)، وابن قتيبة(٦)، والمبرد(٧)، والطبري(٨)، والزجاج(٩)، وابن السراج(١٠)، وابن جني(١١)، وابن دريد(١٢)،

---

(١) ينظر : الخصائص ٣١٠/٢ ، ومعاني النحو للدكتور: فاضل السامرائي ٧/٣.

(٢)ينظر: معاني القرآن للنحاس ٤٠٥/١، وهمع الهوامع ٤٦٣/٢،والنحو الوافي لعباس حسن ٥٣٧/٢.

(٣)ينظر: جمهرة اللغة ١٣١٦/٣، والبديع في علم العربية ٢٦٩/١، وارتشاف الضرب ١٦٩٧/٤، والمساعد على تسهيل الفوائد ٢٤٨/٢، والتصريح بضمون التوضيح٦٣٧/١، وحاشية الصبان ٣٢٧/٢، ومعاني النحو. د/فاضل السامرائي ٧/٣.

(٤) ينظر : مجاز القرآن ٢٣٤/٢.

(٥) ينظر : معاني القرآن ٥١/١، ٢٣٦.

(٦) ينظر : تأويل مشكل القرآن صـ ٢٩٨.

(٧) ينظر : الكامل في اللغة والأدب ٧٣/٣، والمقتضب ٣١٩/٢.

(٨) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن ٤١٢/٢.

(٩) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٦٦/٥.

(١٠) ينظر : الأصول في النحو ٤١٤/١ .

(١١) ينظر : الخصائص ٣٠٩/٢، ٢٦٦/٣.

(١٢) ينظر : جمهرة اللغة ١٣١٦/٣.

والزجاجي(١)، والسمعاني(٢) وأبو بكر بن العربي(٣)، وابن الجوزيّ(٤)، إلى أنّ (أو) هنا بمعنى الواو، وحجّتهم: أنّ (أو) لو لم تكن بمعنى الواو؛ لكان وجوب الطهارة على المريض والمسافر غير متعلّق بالحدث، قال الجصاص(٥) :"وقَوْلـه ـ تَعَالَى ـ :{ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ } فإن (أو) هاهنا بِمَعْنَى)الْوَاوِ(، تَقْدِيرُهُ: وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى، أَوْ عَلَى سَفَرٍ، أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ،وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى الْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ إِذَا كَانَا مُحْدِثَيْنِ وَلَزِمَهُمَا فَرْضُ الصَّلَاةِ وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ قَوْلَهُ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ بِمَعْنَى الْوَاوِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَكَانَ الْجَائِي مِنْ الْغَائِطِ ثَالِثًا لَهُمَا غَيْرُ الْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ فَلَا يَكُونُ حِينَئِذٍ وُجُوبُ الطَّهَارَةِ عَلَى الْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ مُتَعَلِّقًا بِالْحَدَثِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَرِيضَ وَالْمُسَافِرَ لَا يَلْزَمُهُمَا التَّيَمُّمُ إلَّا أَنْ يَكُونَا مُحْدِثَيْنِ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ قَوْله ـ تَعَالَى ـ :{ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ }، بِمَعْنَى: وَجَاءَ أَحَدُكُمْ، كَقَوْلِهِ:{ وَأَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ}[الصافات :١٤٧]، مَعْنَاهُ: وَيَزِيدُونَ، وَكَقَوْلِهِ:{ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما}[النساء:١٣٥]، وَمَعْنَاهُ: غَنِيًّا وَفَقِيرًا".

ويرد عليهم بأن حمل {أو} على بابِها يكون قوله تعالى: {أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِنكُم مِّنَ الْغَآئِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ الْنِّسَآءَ} [النساء: ٤٣] مطلقاً لا يَختص بمريضٍ ولا بمسافرٍ، وإن جعلناها بمعنى (الواو) خصَّتِ المريضَ والمسافرَ، لأن التقديرَ: وإن

(١) ينظر :حروف المعاني صـ ١٢.

(٢) ينظر: الاصطلام في الخلاف بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة ٩٤/١، وتفسير القرآن ٤٣١/١.

(٣)المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك ٢٣٥/٢.

(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٤١١/١.

(٥)أحكام القرآن للجصاص ٣/٤.

كنتم مرضَى أو على سفرٍ وجَاءَ أحدٌ منكم من الغائطِ. والْمَشْهُورِ أظهر؛ لحَمْلِ أَوْ على حقيقتها(١).

وقيل: هي بمعنى (الواو) ؛ يعني: وجاء أحد منكم من الغائط، و"أو" تأتي بمعنى الواو كما في قوله في الحديث الصحيح حديث ابن مسعود: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحد من خلقك". فإن "أو" في قوله: "أو أنزلته" بمعنى الواو؛ لأن معنى الحديث: سميت به نفسك، وأنزلته في كتابك، وعلمته أحدا من خلقك، إذن نقول في قوله تعالى: {أو جاء أحد منكم من الغائط} معناه: الواو؛ أي: وجاء أحد منكم من الغائط وهذا الحدث الأصغر(٢).

ويجاب عليه أنه لا يلزم أن تكون في كل المواضع بمعنى الواو .

والمتأمّل فيما ذكره النحاس . رحمه الله .، يجده قاطعاً لحجّة المنازع، إذ به يزول الإشكال عن الآية، ويلتئم المعنى مع إجراء (أو) على ظاهرها ومعناها الذي وضعت له، والأصل: إجراء ألفاظ القرآن على ظاهرها إلا بدليل يصرفها عنه، ولا دليل هنا. بل الدليل يقتضي إبقاءها على ظاهرها. فإن حملنا أو في الثانية على بابها فيكون قوله أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء مطلقا لا يختص بمريض ولا بمسافر وإن جعلناها بمعنى الواو خصت المريض والمسافر لأن التقدير وإن كنتم مرضى أو على سفر وجاء أحد منكم والمشهور أظهر لحمل أو على حقيقتها.

والله أعلى وأعلم

* * *

(١)التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب ١/١٨١.

(٢) ينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام١/٣٧١.

الخاتمة

الحمد لله في البدء والختام، الذي بنعمته تتم الصالحات، وتزول الصعوبات، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الكائنات، سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ،الذي اصطفاه ربه واجتباه، وعلى آله وأصحابه السادات ، وأزواجه الطاهرات ، ومن سار على هديهم من المؤمنين والمؤمنات.

وبعد ؛ فقد آن لي أنْ أضع قلمي، وأطوي أوراقي مع هذا البحر الزاخر، والعالم النحوي الكبير، والقدير في تبيين اللفظ المشكل بلفظ سهل مبين، شيخي أبي جعفر النحاس، وقد اتضحت لي بعضَ النتائجِ ،أُجْمِلُها فيما يأتي:

أولًا: يتبين من خلال هذا البحث أن من جملة الأسباب التي جعلت الكلام مشكل أن يكون في الكلام إضمار وحذف، مثل إضمار الخبر في قوله . تعالى .: {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى}[سورة البقرة، من الآية:٢٦٣].

ثانيًا: وكذلك أن يكون الكلام على التقدير في المستقبل ، كما في قوله . تعالى . :{ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ} [سورة الأنعام: آية ١٤١]، وهو كيف يكون النخل والزرع مختلفًا ألوانه وثماره عند الإنشاء ، والجواب عن ذلك بأن كلمة{ مختلفًا} تعرب حال مقدرة ، لأنها حين الإنشاء لا ثمرة فيها فهي حال مقدرة تجيء بعد الإنشاء، مثلها كما تقول : أؤدي الامتحان ناجحًا ، أي: مقدرًا النجاح.

ثالثًا: أن يكون للكلمة أكثر من إعراب مثل كلمة (الإنسان)، و(بصيرة) في قوله . تعالى . :{بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}، يرى الإمام أبو جعفر النحاس أن كلمة الإنسان رفعت لأنها مبتدأ أول، وبصيرة مبتدأ ثانٍ، وعلى نفسه في محل رفع خبر للمبتدأ الثاني، والجملة كلها في محل رفع خبر المبتدأ الأول هذا الإعراب على معنى: بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء تحفظه، وتشهد عليه.

كما يجوز أن تكون كلمة (الإنسان) مرفوعة بالابتداء، و (بصيرة) خبره ، وذلك على معنى: إن الإنسان هو البصيرة ، وإشكالها تأنيث الخبر والمبتدأ مذكر، والسبب في هذا التأنيث يرجعُ إلى أن الهاء للمبالغة، كما يقال: رجل

فهامة وعلّامة، وقيل: دخلت الهاء؛ لأن المعنى بل الإنسان حجّة على نفسه، ومن خلال هذا التأويل تتم المطابقة بين المبتدأ والخبر تذكيرًا وتأنيثًا .

رابعًا: عدم المطابقة بين المبتدأ: (الإنسان) وخبره :(بصيرة) في التذكير والتأنيث ، في ظاهر قوله . تعالى . :{بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}.

خامسًا: رفع الاسم المعرب المنصوب:(أيّ) في ظاهر قوله . تعالى . :{ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا}.

سادسًا: **عود ضمير الجمع (هنّ) من (فيهن) على المثنى : (جنتين) في قوله . تعالى . :{ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}.**

سابعًا: أعطاه الله قدرة فائقة على حسن التعليل وإقناع الخصم؛ حيث تراه يسوق من الأدلة والبراهين، ويعلل لرجحان قوله ما يجعلك تعتقد أن القول قوله والترجيح في رأيه.

ثامنًا: يعد كتاب إعراب القرآن الكريم للنحاس من أعظم الكتب التي غاصت في توضيح ما أشكل لفظه، وصعب فهمه، فهو مرجع لا غنى عنه . فرحم الله صاحبه رحمة واسعة . .

هذا ولم آل جهدًا، أو أدخر وقتا في هذا البحث آملا في أن يصل إلى درجة قريبة من الكمال . والكمال لله وحده والعصمة لأنبيائه ورسله عليهم السلام . راجيا النفع به، والإفادة منه، وأن يجعله في موازين حسناتي ووالدي ومشايخي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى اللهم على السيد النفيس سيدنا محمد بن عبد الله صلاة يبارك بها أعمالنا وأوقاتنا.

الدكتور/ ربيع جمعة الغفير.

والله الموفق

* * *

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

-أدب الكاتب لابن قتيبة، حققه وعلق حواشيه، ووضع فهارسه: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

_ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان، تحقيق: د/رجب عثمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

_أسرار العربية لأبي البركات الأنباري، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧٧هـ=١٩٥٧م.

-إصلاح المنطق لابن السكيت، شرح وتعليق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٤٩م.

_الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق: د/ عبد الحسين الفتلي، الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ=١٩٩٦م.

- الأضداد لابن الأنباري ،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م.

- اعتراض الشرط على الشرط لابن هشام، تحقيق: د. عبد الفتاح الحموز، الناشر: دار عمار – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش ، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ.

-إعراب القرآن للنحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

_الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

-أمالي ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د/ فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار-الأردن، دار الجيل-بيروت، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

-أمالي ابن الشجري، تحقيق ودراسة: أ. د/محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)للشريف المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ =١٩٥٤ م.

- إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني، تحقيق: د/حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م.

_إنباه الرواة للقفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

- الانتصار للقرآن للباقلاني، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، الناشر: دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم - بيروت

الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين (البصريين والكوفيين) لأبي البركات الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة ٢٠٠٤م.

ـ الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسيّ، تحقيق: د. حسن شاذلي فرهود (كلية الآداب – جامعة الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م.

ـ البحر المحيط في التفسير لأبي حيان تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

ـ البداية والنهاية لابن كثير ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ،الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

_البديع في علم العربية لمجد الدين ابن الأثير، تحقيق: د/فتحي أحمد علي الدين، مركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ..

_البرْهان فِي علوم القرآن للزَّرْكَشِي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م.

_بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

–تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

–تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م.

ـ تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لأبي الوليد الأزدي، تحقيق: عزت العطار الحسيني، الناشر: مطبعة المدني، سنة النشر ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

–التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيَّان الأندلسي، تحقيق: د. حسن هنداوي، الناشر: دار القلم _ دمشق، ودار كنوز أشبيليا.

ـ التبيان في إعراب القرآن للعكبري، تحقيق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.

ـ التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

_تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، المطبعة المنيرية، الطبعة الأولى، ١٣١٩هـ.

_التصريح بمضمون التوضيح، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

_التَّعريفات للشريف الجُرْجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م.

ـ تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م.

_ تفسير البحر المحيط لأبي حيان، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

ـ تفسير القرآن السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م.

–تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ/ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

ـ تفسير مجاهد ، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ = ١٩٨٩ م.

_تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش، تحقيق: أ. د/ علي محمد فاخر ورفاقه، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

-توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي، شرح وتحقيق: أ. د/ عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

. تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

ـ جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م.

ـ الجمل في النحو للخليل تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م.

_ جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود

الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

_الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق: د/فخر الدين قباوة، ود/محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

-حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د ت).

ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م.

_حروف المعاني للزجاجي، تحقيق: د/علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الأمل، عمان، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

_خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٧م.

-الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ١٩٥٢م.

_الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق: أ. د/أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

- ديوان امرِئ القيس ، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م.

- رسائل في اللغة لابن السيد البطليوسي ، قرأها وحققها وعلق عليها: د. وليد محمد السراقبي، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م.

- رسالتان في اللغة للرماني، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الناشر: دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان، ١٩٨٤.

- الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ،المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ =١٩٩٢م.

_سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق: د/حسن هنداوي، دار القلم بدمشق ١٩٨٥م.

_سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ

- شذا العرف في فن الصرف للحملاوي ، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، الناشر: مكتبة الرشد الرياض.

-شرح أبيات سيبويه لأبي محمد يوسف المرزباني السيرافي، تحقيق: د/ محمد الريح هاشم، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

-شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تحقيق: د/عبد الحميد السيد محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٣م.

_شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق: د/عبد الرحمن السيد، د/محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

ـ شرح كتاب سيبويه للرماني ،أطروحة دكتوراه لسيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي، إشراف: د تركي بن سهو العتيبي، جامعة: الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – المملكة العربية السعودية، عام: ١٤١٨ هـ =١٩٩٨ م.

_شرح الرضي على الكافية، تحقيق: د/يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

_شرح شذور الذهب لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة ٢٠٠٤م.

-شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب للجوجري، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ=٢٠٠٤م.

_شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

ـ شرح شافية ابن الحاجب للرضي ، مع شرح شواهده للبغدادي، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة:محمد نور الحسن – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية، محمد الزفزاف – المدرس في كلية اللغة العربية، محمد محيى الدين عبد الحميد – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م.

_شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق: د/عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

-شرح المفصل للزمخشري، تأليف: موفق الدين ابن يعيش، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د/إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

- شرح نهج البلاغة لأبي حامد عز الدين بن هبة الله ، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ =١٩٩٨م.

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس ، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

_الصحاح -تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.

- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف.

- العبر في خبر من غبر للذهبي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الناشر: مطبعة حكومة الكويت/ سنة النشر ١٤٠٥هـ.

-علل النحو للوراق، تحقيق ودراسة: د/ محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

- غرائب التفسير وعجائب التأويل لتاج القراء ، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

- غريب القرآن بن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.

_العين للخليل بن أحمد، تحقيق: د/حسن هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

ـ فتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م.

ـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي ، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ = ٢٠١٣ م.

ـ الفصول المفيدة في الواو المزيدة للعلائي ، تحقيق: حسن موسى الشاعر، الناشر: دار البشير – عمان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

ـ القطع والائتناف للنَّحَّاس، المحقق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، الناشر: دار عالم الكتب – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

_كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

–كتاب اللامات للزجاجي، تحقيق: د/ مازن المبارك، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

–كتاب اللمحة في شرح الملحة لابن الصائغ، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م.

ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

ـ الكناش في فني النحو والصرف لا بن شاهنشاه ، دراسة وتحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، عام النشر: ٢٠٠٠ م.

– اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

_لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر١٩٨١م.

–اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، دار الثقافة، المغرب ١٩٩٤م.

_اللمع في العربية لابن جني، تحقيق: د/سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي، عمان ١٩٨٨م.

ـ محقق كتاب إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس ،الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

ـ مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

–المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

– مختار الصحاح للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

ـ المذكر والمؤنث لابن الأنباري تحقيق الشيخ: محمد عبد الخالق عضيمة، مراجعة: د. رمضان عبد التواب

الناشر: جمهورية مصر العربية – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث، سنة النشر: ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.

ـ المرتجل (في شرح الجمل)لابن الخشاب ،تحقيق ودراسة: علي حيدر (أمين مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق)

الطبعة: دمشق، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م.

ـ مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ .

_معاني القرآن للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

_معاني القرآن للأخفش، تحقيق: د/هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ=١٩٩٠م.

–معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق: د/عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م.

ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) للسيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

– معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق الشيخ : عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

–مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٥م.

–مفاتيح الغيب للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

-المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي، تحقيق: د/عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ورفاقه، مركز البحث العلمي، وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

-المقتضب للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، مؤلف منار الهدى: أحمد بن عبد الكريم الأشموني ، ومؤلف المقصد لتلخيص ما في المرشد: زكريا الأنصاري، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠٢ م.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية،١٣٩٢هـ.

- نتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢ =١٩٩٢ م.

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لكمال الدين الأنباري ، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

- النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه) لعلي بن فَضَّال ، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م.

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م.

_همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

- الوافي بالوفيات للصفدي، تحقق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

–وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق: د/إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م.

- وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم من سنة ٣٧٥هـ ، لأبي إسحاق الْحَبَّال ، تحقيق: محمود بن محمد الحداد، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ .

الفهرس العام لمحتويات البحث

الموضوع

المقدمة، وفيها:

أولاً: أهمية الموضوع.

ثانيًا: أهداف البحث ، وأسباب اختيار الموضوع.

ثالثا: منهج البحث.

رابعا: خطة البحث

التمهيد فيه تعريف مصطلحات عنوان البحث، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أبو جعفر النحَّاس: (اسمه ونسبه . كنيته ولقبه . مولده ونشأته . رحلته في طلب العلم . شيوخه . ثناء العلماء عليه . تلاميذه . مؤلفاته . وفاته.

المطلب الأول : التعريف بأبي جعفر النحاس ، ويشمل :(اسمه ونسبه . كنيته ولقبه . مولده ونشأته . رحلته في طلب العلم . شيوخه . ثناء العلماء عليه . تلاميذه . مؤلفاته . وفاته.

المطلب الثاني: كتاب إعراب القرآن.

المطلب الثالث: معنى الإشكال.

المبحث الأول: المسائل التي يعود إشكالها إلى إيحاء ظاهرها بمخالفة قاعدة نحوية: وفيه سبع مسائل:

المسألة الأولى: عدم المطابقة بين المبتدأ: (الإنسان) وخبره :(بصيرة) في التذكير والتأنيث ، في ظاهر قوله . تعالى . :{بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}.

المسألة الثانية : رفع الاسم المعرب المنصوب:(أيّ) في ظاهر قوله . تعالى . :{ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا}.

المسألة الثالثة: عود ضمير الجمع (هنّ) من (فيهن) على المثنى : (جنتين) في قوله . تعالى . :{ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان(٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}.

المسألة الرابعة : تعدية الفعل (يُلبس) إلى ما لا يقبل معناه :ضمير العقلاء(كم) في ظاهر قوله . تعالى . :{أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا}.

المسألة الخامسة: الإخبار عن المبتدأ (مَنْ) بجملة ليست هي نفسه في المعنى وغير مربوطة به:(إنَّ ذلك من عزم الأمور)، في ظاهر قوله . تعالى . :{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}.

المسألة السادسة: العطف على ضمير الرفع المتصل: واو الجماعة في (يدخلون) دون توكيده بضمير منفصل، في ظاهر قوله . تعالى . :{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ}.

المسألة السابعة : تعدية الفعل اللازم: (آمن)باللام في(لمن تبع)وبنفسه في المصدر المؤول: (أن يؤتى) في ظاهر قوله . تعالى . : {وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ}.

المبحث الثاني: المسائل التي يعود إشكالها إلى إيحاء ظاهرها باستحالة المعنى، أو بعد، أو خفاء:وفيه عشرة مسائل :

المسألة الأولى: نعت القوم (عاد) باسم موضع سكناهم : (إرم) ، أو إبداله منهم ، في ظاهر قوله . تعالى . : {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ}.

المسألة الثانية: إشراك ما هو من عند العبد (القول المعروف) مع ما هو من عند المعبود، سبحانه: (المغفرة) في (الخيرية) في ظاهر قوله . تعالى . :{قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى}.

المسألة الثالثة : عطف مستحق العذاب على مستحق الثواب، في ظاهر قوله . تعالى . :{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَاب}.

المسألة الرابعة : خفاء المراد بـ (الجزاء) في ظاهر قوله . تعالى . : {قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ...}.

المسألة الخامسة: نفي الفعل في : (ما نظنُّ) ثم إثباته بذكر مصدره المؤكد له في : (إلا ظنًّا) في ظاهر قوله . تعالى . :{قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا}.

المسألة السادسة: اختلاف زمن الحال(مختلفًا) عن زمن الحدث :(أنشأ)، في ظاهر قوله . تعالى . :{ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ...}.

المسألة السابعة: إسناد الفعل :(منع) إلى ما لا يُتصور حدوثه منه:(أن كذب بها الأولون) في ظاهر قوله . تعالى . :{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ}.

المسألة الثامنة: إشراك العبيد (الراسخون في العلم)مع المعبود . سبحانه . في علمه، في ظاهر قوله . تعالى . : {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}.

المسألة التاسعة: استحالة الجمع بين الأموات : (الذين يموتون) مع الأحياء:(الذين يعملون السيئات) في حكم (نفي التوبة) في ظاهر قوله . تعالى . :{ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّار}.

المسألة العاشرة: إيجاب الحكم (التيمم) مع عدم موجبه في (مرضى) و(على سفر) في ظاهر قوله . تعالى . :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا}.

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع

الفهرس العام لمحتوى البحث